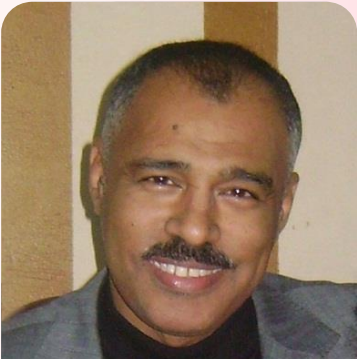


معنأة الكلام

مجموعه قصصية



زكريا الشافعي

اقول لك ! (قصة قصيرة)

الشيخ الطروفي !! مقام الشيخ يقع في الحى الذى يسكن فيه مبنى صغير جزء من منزل قديم اقتطع المقام نصيب . الجالس على عتبات مقام الشيخ الطروفي بملابسه التى لايمكنك ان كان يكره هذا الدرويش بعمامته الخضراء تحدد لها لونا ولاملامح وبمسبحة الطويلة لحية طويلة تتدلى الى منتصف صدره . ويكره هولاء الذين يتمسحون بعتبات الشيخ من النسوة اللاتي جنن يطلبن البركة يملئن صندوق النذور بالورقات الكبيرة فئة العشرة جنيهاث ثم ييكنن ويطنن بالمقام وتطلب كل واحدة حاجاتها كان يكرههن كراهه الكفر ويود يوما ان يهدم المقام فوق رؤوسهن وفوق راس هذا الدرويش بل وفوق عظام صاحب المقام الذى يعلم فى قرارة نفسه انه لايملك ان يدفع عن نفسه شيئا . كان يسخر من الجميع علانية وامام الكل الاسم طروفي

- "طروفي .. هههه حتى الاسم غلط ... فيه شيخ اسمه طروفي ده اسم بلطجى .. سوابق .. يعنى كده " نهرته امه - " يابنى دول ناس صالحين ملكش دعوة بيهم " .

" ياست الكل تلاقيه كان واحد من الدراويش اياهم اللي عايشين على قفا الناس لاشغل ولامشغله " . الغريب ان اهل الحى ما كانوا يعرفون عن تاريخ الشيخ الا النذر القليل ... قالوا جاء من المغرب , وقال اخرون ان له نسبا شريفا , وقال اخرون انه كان رجلا صالحا له كرامات , وقال اخرون انه رجل مجهول مات .. ولم يتعرفوا على اصله وفصلة فدفنوه فى مكانه .. ولما وجدوا مكانه قد اخضر زرعاً... بنوا له مقاما وسموه الطروفي ..لانه كان فى طرف الحى من الناحية القبليه ! وايماء كان الموضوع فلاحد يعرف على وجه اليقين من الرجل - يستغرق فى الضحك ويقول " تلاقيه كان قاطع طريق ولاواحد هربان من الحكومة " ...

اشتعلت ثورة فى البلد كلها ... عزلوا الرجل الكبير.... سقطت الشرطة.... لم يعد هناك امن !! وقف يهتف بأعلى صوته فى مسيرة غاضبة . دوت فرقعات رهيبه ... ضرب نار ! سقط الناس حولة تطايرت الرصاصات فوق راسه . صرخ رجل فى الوجوه الملتمة هاتوا لى الواد ده ...

جرى باقصى سرعة طاردوه وجد باب المقام مفتوحا مواربا... لم يكن يريد ان يصل حتى باب البيتيخشى ان يطاردوه حتى شقته فيؤذوا امة واخوته البنات .. لم يجد غير المقام ... اندفع داخلا بحذانه ... ظهر الدرويش على الباب الخارجى واغلقه وقف بعصاة ومسبحة الطويلة حول عنقه وملابسه الرثة

اتاه احد المطاردين .

- فيه واد دخل هنا ؟!

-امشى ياولا من هنا !!

كان الرجل يلوح بسكين طويلة غريبة الشكل يخوف بها من يقف امامه .. الا هذا الدرويش الذى وقف باصرار وتحد غريب ممسكا بقائم الباب بيده .

سال الرجل مرة اخرى وانفاسه تنهدج : باقولك يا..... فية واد دخل هنا ؟!!!

رد الدرويش بصوت خشن قاطع وبنظره تقدح شررا . وقد احكم قبضته على العصا الغليظة فى يده .

- امش ياولا من هنا !

تسمر الرجل فى مكانه لربما من دهشته من جراه الدرويش . جاءت بعض زملائه الملتمين وقد كشف ادهم عن وجه قبيح به خط من اثر جرح قديم لم تفلح لحيته فى اخفائها !

- فيه اية يا سوكة !؟ ساله ادهم وقد راح بعيون ميته يتطلع خلف كتلة الملابس البالية والوجه الصخرى الواقف عند الباب ..

واللا ممكن يكون دخل هنا والباشا قال عايز الواد ده!!!

التفت الرجل الاخر الى الدرويش وحذجة بنظرة طويلة من اعلى لاسفل ومن اسفل الى اعلى واستوفقة اصبع قدم الدرويش العارية فى حذاء باللى فضج بالضحك .. ضحكه كالفحيح كانها تخرج من كهف

ياللا بينا ياجدعان ماهو طالما مانعنا ندخل يبقى اكيد مش حيدخل اى حد !

- تصدق مخك نضيف وبتفكر يا شلاطة !
صرخ فيهم الدرويش مهددا : " يالا يا ولا منك له من هنا !"
" يالا بينا يا جدعان ده مجنون ... بدل ما يبطلع جناحه علينا ... احنا مش ناقصينه .. احنا نرجع للباشا .. احنا عملنا
اللى علينا " .
نظروا حولهم ثم تحركوا سريعا من امام الرجل .
تحركوا سريعا من امام المخبول الذى قد ينهال عليهم بعصاه فى اى لحظة فان لهؤلاء المجانين احوال ...
فى ثوان كانوا قد اختفوا ..
نظر الدرويش حوله يمينا ويسارا . ثم قال بصوت اشبه بالهمس .
- " اظهر و بان عليك الامان " .
وثب الشاب المذعور من خلف المقام وتقدم بخطوات حذرة واتجه الى الباب . وصوت رخيم أسر يتبعه .
- " روح يا مصطفى شوف مذاكرتك يا مصطفى . وسيب الملك للمالك ... واللى فى علما لازم يكون ! -

.....
استدار ليشكر الرجل الى انقذ حياته وربما ليساله كيف له ان يعرف اسمة لكنه لم يجده !

الاسكندرية مارس 2019

الذاكرة ممثلة

الرسالة تقول ان الذاكرة ممثلة -
تجمدت الشاشة فجأة ... اصابها الشلل ... لم يعد ممكنا ان يستوعب هذا الشيء الصغير المحشور فى احدى فتحات اللاب توب
اى شىء اخر
- نعم الذاكرة ممثلة ..توقف المخ الالكترونى العملاق.. يجب التخلص من بعض الملفات... يجب محوها ... يجب تحرير
الذاكرة... هكذا قالت الرسالة .

قمت الى الحمام لم اشعر الا الحين اننى مثقل بهموم لا تستوعبها ذاكرتى...
ست ساعات من العمل المتواصل ... كلمات ..,ترجمات .., ملفات .., اعداد محاضرات ... رسائل .., شير .., تعليق .., شجب ..
شكر -
سأشرب الشاي الذى أعددت منذ ساعة. نعم نسيت أى أعددت أصلا .

رن الهاتف... تبينت صوته من بين عدة اصوات فى سيمفونية مجنونة من الضجيج . يصر بائع الغاز وهو يدق على حديد
احدى الاسطوانات الفارغة ان يبيع مابقى معه!!! - الغاز الطبيعى دخل البيوت!!!

- ! لمن هذا الرقم غريبة !! .. لنفس الرقم اتصال منذ ساعة . كيف لم اسمع؟! من هو؟! - من يكون...؟! .
- الو ... من لا.. لاتقل هذا... هه... والله؟! جد !!

..... كان اخى!! هذا رقم اخر له.. لم اسجله عندى - كنا ذاهبون لزيارة الرجل مريض ..
سألته متعجبا " هل اتفقنا على ذلك!!
-اي نعم!! "بالامس التقينك على باب البيت كنت ذاهب و انا راجع الا تذكر!؟

" قالت زوجتى ان معلمة البنث تشتكى منها لقد نسيت جدول الضرب" و " الولد تشاجر فى المدرسة "
سالتها - هل اعددت لنا شيئا نأكله عندى عمل بعد ساعه "....
ردت -" اتصل بامى فقد كانت عند الطبيب اليوم " هه لاتنسى !

- "سلامتها نعم سافعل " " تؤلمنى قدمى... اعرف انها الاملاح" ... نعم.. نعم.. انا ايضا وقفت ساعات صعدت
ونزلت عدة مرات

هل يمكن ان احظى بقبولة... صاح الاولاد.... تشاجروا .. صرخت فيهم الام ابوكم ناااa

حان ميعاد العمل . ارتديت اول قميص قابلنى وضعت قدمى فى الحذاء المنتظر على باب الشقة. غصت فى الزحام
الشديد... وجوه كثيرة ... سيقان تتحرك فى كل مكان فى كل اتجاه .هل غادر الجميع بيوتهم ... مرت خمس دقائق
... عشرة ... عشرون ... ووجدت مكانا...

راح السائق يشق طريقة فى بحر متلاطم الامواج...سيل متدفق من مركبات زاحفة تزوم فى ملل .. تكاد تلامس
بعضها البعض ... تكاد احفان السائق المجهد تسقط على عينية ... تقود يديا السيارة كأنها قطعة من ذلك المجرك
العتيق الى علو اناته عند كل حركة ... , غير المسار .. سار فى ازقة, اجتاز حشود من زحام مظاهرة, وارتج عند كل
مطب, واندك عند كل حفرة, صعد على ماتبقى من رصيف .وخاض فى مياة ...,وزعق بالنفير فى كل كبير وصغير
, هذا هو الشارع والمكان ... هو هذا ...

- على جنب يا اسطى ... لکنى لم انطقها!
لم اغادر... ظللت فى مكاني.. شىء ما قيدنى ,مر مكان نزولى وانا ارمقة بلا مبالاة , حين وصل الى طريق البحر
هناك فى هذا المكان حيث من المعتاد ان يسرع الجميع . عند هذه البقعة الخجولة الهاربة من سطوة الزحام هناك
حيث انسحبت البيوت , هنا فقط حيث اعلن الفراغ النادر والسكون الحصرى عن نفسه . هذه المساحة الغير مأهولة .
المستتائة من ذاكرة الاماكن. -

- "سانزل هنا لو سمحت ..."

نظر الجميع الى بدهشة ... شى مافى داخلى تكلم .الذاكرة ممتلئة, يجب محو بعض الملفات, الجالس بجوارى ازال سماعات الأذن وهو ينظر الى بدهشة" نازل يااستاذ!؟
"- جيجا بايت " اقصد "ايوة نعم. "
زكريا الاسكندرية اكتوبر 2014

" الريحيم " قصة قصيرة جدا

السكون والصمت المطبق يلف المكان.... وظلام لايمكنك ان تتبين فيه كف يدك... قدم تتحرك بحذر فى الصالة الفسيحة . تقدم خطوة وتؤخر اخرى . صوت خافت تنهى من بعيد لتعود الاقدام المتسللة الى الخلف سريعا تستتر بحائط !!!

ياالهى..!! الصوت... كان صوت الساعة القديمة فوق البايو عند باب الشرفة ,كان دقائقها التى لايمكن ان تسمعها بالنهار واضح جدا فى هذا السكون المريب !!وكانة دوى فى سمع المتسلل .

امام باب الشرفة الذى حجبه غلالة حريرية من ستائر فاخرة , كان شعاع ضوء يتسلل من مصابيح الشارع الساهرة يضىء الى حد ما امام هذا الجزء من الصالة . عبرت الاقدام فى سرعة هذا الجزء الذى خلا من سجادة او فرش على الارضية الرخامية الرمادية اللون. وامام ثلاجة كبيرة توقف صاحب الاقدام المتسللة...وانتظر برهة واصاخ السمع طويلا....وهو يضع يده على مقبض باب الثلاجة قبل ان يفتحها فى هدوء ليتسلل ضوئها الخافت يضىء الداخل بوضوح لكنه لايتعدى ذلك لان جسدا ضخما وكرشا كبيرا كان يعوق ذلك . فى وقت قياسى كانت قطعة كبيرة من صدر دجاجة وشريحتين جبن رومى وقطعتين لانشون وشريحة مكتنزة محشوة من نوع فاخر من الهريسة وطبق رز بلبن قد استقرت فى جوف هذا الكرش الكبير واتبعها بجرعة معتبرة من زجاجة بيبسى..... وتكريعة مكتومة كادت تفرقع فى الصالة الصامتة .

كشفت الضوء الاخير من باب الثلاجة قبل غلقها ابتساما رضا التمتع على صفحة هذا الوجه المكتنز . ثم نظرات حذرة....فخطوات مرحة..تواثبت الى ان وصلت الى اخر باب فى نهاية الردهة الكبيرة . فى خفة يحسد عليها عاد الاستاذ عبد التواب الى سريره.....وحانت منه التفاتة سريعة نحو زوجة الغارقة فى سبات عميق. تبسم الرجل فى سره قبل ان يستلقى فى هدوء لينام بعدها بدقائق, تصاحبة سيفونية اعتاد الرجل ان يعزفها – تقلقلت زوجته عدة مرات قبل ان تستيقظ وتزغده بيدها وبصوت أمر - يا عبد التواب...وبعدين بقة .. اعدل راسك !!!

- هه .. اه .. طيب

مر احد موظفى الاستاذ عبد التواب به فى صبيحة اليوم التالى وهو جالس على مكتبة وامامة كوب الشاى وقطعتين صغيرتين من خبز جاف .

اية يااستاذ عبد التواب .. اية اخبار الريحيم ... انا شايف بسم الله ماشاء الله تحسن كبير جسم سيادتك بقى كده سمباتيك وابتسم فى مكر

- هههههه انت شايف كده ياعلى ههه.... والله المدام والدكتورة بنتى ايمان... - ماننت عارفها - ... هما اللى واخدين بالهم منى , ومنظمين لى كل حاجة

- ربنا يخليهم لسعادتك هوه ده الكلام ياباشا

-- طبعا ... الانسان لازم يكون عنده عزيمة ... واصرار اومال اية !!! انت شايف انا بافطر اية !!!

- طبعا سعادتك .. كلنا بنتعلم منك
- ده اية اللي فى ايدك دا ياعلى ؟
- ده سعادتك حلاوة نجاح ابني محمود فى الاعدادية
- بس انت عارف ياعلى ان الحلويات ممنوعة عليا
- ياباشا كل سنة وحضرتك طيب ... خليه انهارده استثناء .
- ههههه وماله ميعرض وخاصة اذا كانت من "شهد الملكة " الف الف مبروك ياعلى
- فرك على يدية الاثنين وقال بصوت هامس " الله يبارك فى سعادتك ياريس !!!"

زكريا الشافعى

ابريل 2018

العصبية والمية المعدنية

وانا انظر الى عروقه النافرة وهو يحكى بكل عصبية ويلوح بكتنا يديه .كان الجميع يقولون ان سمير هذا عصبى ! ..

قال احدهم ساخرا انه .. "فى حالة استنفار دائم " وعلق اخر ضاحكا هو " بركان نشط" . وكثرت التعليقات ما بين ضاحك ومبتسم , ومتعاطف معه , وحائق عليه. ثم سكت الجميع حينما اقبل من بعيد بوجه عبوس جاد .

حين جلس معى نتكلم قال لى " انت تعرف اننى عصبى شوية !

وكانة ينتظر موافقتى على ما قال ثم حين لم ير اويسم منى اجابه قال : ماشى .. قل عصبى ... نعم انا عصبى!

انا لاحب ان يستفزنى احد انا كده ! ... ولعلمك كل هؤلاء الذين تشاجرت معهم هم من بدأوا..... ولعلمك ايضا ان اى احد منكم كان سيفعل مع هؤلاء ما فعلته انا !!

هل تذكر هذا الحقير... السفية الذى لم يرد على حين سألته لم تاخر ؟ لقد استهان بى. نعم لم يرد. لانه اراد ان يحتقرنى وان يقلل من شأنى امام الناس

_ لكن يااستاذ !!! دا انت فتحت راسة – خمس غرز يارجل !!؟

_ والله يا حبيبي كان يستاهل 15 دا ابن..... . فاسرعت بوضع يدي على فمة فالناس حولنا. وكنت

اعرف يقينا مانوع هذا السباب !..

- المهم قل لى ماذا حدث يوم الجمعة !

- الجمعة ؟ ... كان اجازة ياخى

نعم اعلم انه اجازة وقد بلغنى الخبر من ناس واريد ان اعرفه منك

_ اه نعم !! . وكأن شخصا ما قد قطع التيار الكهربى عن اجهزته التى تعمل بكامل طاقتها! فقد مال

على وحدجنى بنظرة هادئة

-عرفت ازاي ؟

- دعك من كيف عرفت ؟ فية حد ياراجل يتعارك فى المسجد !!!؟

_ ما هو انت لو تعرف اللى حصل !!!

لم اتفوه بكلمة ولكنة فهم من سكوتى اكثر مما كان سيفهم من كثير من كلمات العتاب والانكار و و و و وفهم ايضا انه عليه ان يحكى وعلية ان يوضح ويبين ويذكر الاسباب .

ساحكى لك من البداية .

انا ياسيدى متعود يوم الجمعة الصبح استحمى واروح اصلى الجمعة . سنة يااستاذ سنة ! ثم وكان التيار قد عاد الى عروقة فانتفخت فى وجهة ورقبته . وبالية وتلقائية ادخل يديه فى البلوفر الصوفى الذى اتسع فبدا كانه اكبر من مقاسه او انه فقد وزن رقبته ليلتقط علبة السجائر من القميص اسفلة

وفى لمح البصر اشعل السيجارة واكمل " بس تقول اية بقعة فى الحكومة ال..... المية كانت قاطعة

. لا واية ؟ !!!

كنت فى الحمام ياخى !!!

وتخيل المدام عملت اية لما قتلها اتصرفى انت متخيل !!! اخدت من جيبى 20 جنية ... وجابت مية معدنية... واخذ بالك يااستاذ مية معدنيه!!! عشرين جنية !!.

مانت عارف انها مش معدنية اصلا كمان وراح يكرر عشرين جنية !!! استغفر الله العظيم –

الولية المفترية اشترت مية بعشرين جنية وعشان اية!!!!؟

المهم ... - واکمل وقد سحب نفسا عميق من السجارة القابض عليها باصبعية اشعل طرفها ناراً - رحى الجامع.. لقيت المكان اللى متعود اقع فية واسند زهرى وابقى كده باصص على الخطيب على المنبر , لقيت واحد قاعد فية !! ومعاة عيالة كمان ... المهم جلست .. وبمجرد ان جلست جاء رجل ,التصق بجوارى فتحرکت قليلا فانا لااطيق ان يلمسنى احد. ياخى انا باركب الميكروباس باخذ كرسيين عشان مييقاش كتفى فى كتف اللى جنبى . هة ... انا كده طبعى كدة !
سحب نفسا عميقا اخر وراح يكمل كلامه وانا اتابع الدخان يخرج من فمة وقد تصورت حينها اننى ارى دخان شيئا ما يشتعل بداخلة !!

- وبمجرد ان تحركت جاء شخص اخر من خلفى فاشار على بان اتحرك قليلا , لانة سيصلى ركعتين تحية المسجد....

تكورت ياخى فى مكاني ورحى اردد فى سرى استغفر الله العظيم . وكاننى تذكرت الخطيب على المنبر لم يكن الشيخ الذى اعتدت سماعة فى كل جمعة اصلى فى هذا المسجد لقد كان شخصا اخر . لا اعرف ياخى كانه كان يقصدنى فى خطبة كنت كلما رفعت بصرى لانظر الية اجده ينظر الى ويصيح فى مكبرات الصوت التى ملأت هذا المسجد الصغير " يامن تأتون الى الصلاة متأخرييييييين ... يااااااااااااها العاصى ...ياامن تصلى فى بيتك ... ملأ الله بيتك نااااار .يامقصرين فى حق الله.... سينكد الله عليكم عيشتكم ... هية المية غليت لية ...ههه!؟ والغاز.....والأكل ؟

.....
لاادرى ياخى اللى جا فى بالى ان اجرى خارجاهناك مسجد اخر فى نهاية الشارع .

وبعد ساعة وربع الساعة بالتمام والكمال ,انهى الرجل خطبته ونزل. واصطف الناس للصلاة , جذبني الرجل الواقف الى جوارى لكى احاذية ثم الصق قدمة بقدمى. قدم خشنة كانها من خشب جاء اصبغة الصغير حا د كمخبل قط فوق قدمى. فابتعدت فوكزنى فى فخذى كى احاذية . فلم افعل .. فالصق قدمة بقدمى . – قدم كانها رجل فيل !! انت متخيل ياخى.

نعم متخيل !!! وضحكك رغما عنى حينما اشار بيده مصورا لى حجم قدم الفيل اقصد الرجل

تخيل بقة الموقف ... !!

نعم تخيلت الموقف . وكأنه يدع لى فرصة التخيل.. راح يمتص من سيجارته نفسا عميقا ملء به صدره !

ولم اكن فى حاجة لاعرف بقية القصة فقد حكاها لى زميل .

زكريا

الاسكندرية فى 25 فبراير 2017

(بيقولوا فالنتين!!!!)

- همست فى اذنة بدلال وتلك الابتسامة المتألقة على شفيتها وفى عينيها وفى وجنتيها تكاد تضىء هذا الوجه الذى غضنت صفحاته الايام والسنين .
- قال يابو مصطفى بيقولوا انهارة عيد الحب "الفالنتين" .
- كان مايزال يلتقط انفاسة بعد ان اعتلى درجات سلم الادوار السبعة . ويبدو انه لم يسمع شيئا مما قالتة له زوجة المصون ام مصطفى , فقد كان لايزال متجها ببصره ناحية الباب اللى اغلقه بقدمه فلم تكن اى من يديه تخلو من شىء يحمله وهو يتمم غاضبا
- عالم معفنة !!!
- لم تفارق الابتسامة وجه زوجته وقد بدا ان طرف الحديث الاول قد قطع فية اية بس؟! دى حتى ايام مفترجة !!!
- امسكى امسكى . وناولها بعض حمولتة الثقيلة .
- اسرعت بحمل العديد من الاكياس التى تعلقت بيديها الاثنتين وهى تجول ببصرها بينة وبين ماتحملة بيدها من اكياس ثقيلة . اسرع الرجل فخلع حذاءة ثم القى بنفسة على اول كرسى قابلة فى الصالة .
- تركنته يلتقط انفاسة وراحت فى صبر تنتظر كلامة .
- تعلقت عيناها بشفتية
- "جبت لك" تعالى شوفى كده !! ثم كانما تذكر ماكان يغضبة .
- الناس ميقاش عندها زمة ولاضمير .
- ربنا يخليك لينا يابو مصطفى هو ال.....
- الراجل الحرامى بتاع المكتبة اللى تحت ...
- خلاص يابو مصطفى صل على النبى .
- قال اية؟ لازم تاخذها ... ! هية البيعة كده
- ومالة ياخويا هىء هىء هىء هىء
- وراح الرجل يفيض الاكياس ويخرج مافيهها شوفى ياستى
- " ده كيلو وده باكو .. ودى بقعة حتة ... كان حاخمنى فيها بس اية !! انا قولتله ...
- اه
- الكيس الكبير ده جبت ثلاث كيلو... وعشر ... للاولاد ... وعندك كمان بقعة لقيت عليه عرض قمت جايبة اهووبرضة ينفع
- اه .
- وجبت كمان ...
- اه
- شفتى ال... اية رايبك فية؟!!
- اه
- هوه اية اللى اه اه !!
- قالت بلا اهتمامطيب .
- الناس المعفنة اللى فى الرابع سايبين الزبالة على السلم واللى فى الخامس سايبين القطة برة الشقة حاجة تقرف !! و هوه الراجل ده مش ناوى يصلح الكهرياء بقعة

-تذكرت انها تركت الطعام على النار هبت مسرعة الى المطبخ ظلت لوقت طويل حتى قام الرجل من كرسية واتجة مباشرة الى غرفة نومة والقى بجسده المنهك وراسة المليء بالصراعات على السرير وراح فى نوم عميق

عادت زوجته وقد اكتسى وجهها بحزن عميق احترق بعض الطعام يمكنه الان ان يشتم الرائحة . ليكن ! ماباليد حيلة – راحت تضع الاطباق على السفرة وكانها تلقى بها على صفحة الطاولة القديمة . ثم حانت منها التفاتة ناحية غرفة النوم وفى صوت حاد طويل . - الغداا
فى ذلك المساء تشاجرا واقسمت انها ستهد غدا فى الصباح الى ابوها فى البلد ... فهى لم تعد تحتل ولم ولم

جلس الرجل فى البلكونة ... واشعل اخر سجائرة ... وراح يدخنها بشراهة .
حين دقت الساعة الثانية صباحا .. انزل قدميه المددتين المتعبتين من على الكرسى الصغير امامه وحمل جسده المنهك وتلمس الطريق الى فراش يرتاح فيه ماتبقى من سويكات اليوم فامامة غدا يوم عمل طويل . لقد اصبح العمل لايطاق .

فى الصباح خرج فى صمت الى عملة . وحين قامت من نومها راحت ترتب الاشياء التى جاء بها بالامس وضعت الزيت فى دولاب المطبخ السفلى – الارز والذفيق الفاصوليا فى الاعلى . اربع علب صلصة طماطم الطماطم غاليه اليومين دول . كيس التوابل رائحة قوية ملئت البرطمانات الفارغة فلفل وكمون وحبهان . اخذت الصابون ومسحوق الغسالة الاتوماتيك التى اشترتها منذ شهر حين قبضت دورها فى جمعية ام بطة جارثهم . وضعت الكل فى درج المنظفات بعيدا تحت الحوض . فى كيس اخر وجدت هذه العلبه الزرقاء
علبة الشكولاتة برق امام عينيها شريط من ذكريات طفلة ... ثم صبية .. فشابة تمسك بلعبة شيكولاتة وتبتسم الى شاب قصير الشعر بعينين سوداوين ونظرة جادة . _ انها الشيكولاته التى طالما احبتها .. لمحت الورقة الصغيرة اسفل العلبه عليها الثمن 120 جنية دقت صدرها بيدها يامصيتى !!! برضة كده ياسعيد ! لكنها لم تستطع ان تخفى ابتسامه طاقت على وجهها
بعد عشر دقائق اتصلت به فى العمل .

نفسك تاكل اية انهاردة يابو مصطفى !! ؟

زكريا الشافعى

الاسكندرية فالنتين 2018

"حكاية كل يوم"

قالوا لى لاتصلح هذه ان تكون قصة . ومع ذلك كتبته ,ورحت اعيد كتابها ,واغير فى بعض سطورها وعباراتها .
واعدل هذه الكلمة فى هذا السطر وذاك . وترددت فى ان انشرها . كترددى فى ان امحو سطورها . فكما قلت لكم
قالوا لى انها لاتصلح ان تكون قصة .منصور هوبطل هذا الشى المسمى قصة لم يكد ينتهى من حلاقة ذقنة,
ويطمئن الى نعمتها ,وانه اجاد واحسن فى هذه المهمة التى بدا بها صباحة ,حتى تذكر ان ابنته الصغرى كانت قد
عبثت بزجاجة الكولونيا فافرغتها فراح يستجدى بضع قطرات منها . كان الاولاد الصغار يتشاجرون فى الغرفة
المجاورة .ليدة خمسة .اولاده الخمسة اكبرهم شيماء فى اولى سنوات الجامعة كان اول مايقظه فى هذا النهار هذا
الحوار الغاضب بين البنت وامها

- "لا ميكفيش ..."

- " طب يعنى اية نجيبك منين عيشى عيشة اهلك !!"

- "انا مليش دعوه..... زملاى ب... ياماما الله يخليكى ... طب قولى لبابا !!!"

- " هس وطى صوتك ابوكى نايم ... وبعدين ..."

- لا لم يستطع ان ينام بعدها حتى بعد ان وضع المخدة على راسه !!

الاولاد الصغار فى اجازة المدارس الولد والبنت التوام – جابتهم ام محمد فى بطن واحدة اخر العنقود . صوت
صياحهم يطغى على صوت البائع الذى يصيح "جميلة اوى ال....." لم يستطع ان يتبين ماهى ال....." وزوجته
فى المطبخ تصرخ فى الاولاد وتهدهدهم بان ابوهم سوف يشبعهم ضربا . انكسر شىء ما!!! لم يتبين حينها هل كان
فى المطبخ ام عند الاولاد . لحظة صمت قصيرة .. انزلق الكوب من يد الام وهى تغسله . دق جرس الباب.. رنة
واحدة.. طويلة.. عنيدة. تبعتها طرقات منغمة. وصوت اجش "النور.... كهربا!!!!!!" سمع زوجة وهى تقول
يافتاح ياعليم يارزاق ياكريم تركت الزوجة المطبخ واتجهت الية .كانت الفوطة على كتفه وهو يخرج من باب
الحمام

" نور اية..؟! احنا مش لسة دافعين الاسبوع اللى فات!! " .

"سلامتك....وهى تداعب شعر صدره الكثيف وتشير باصبعيها علامة النقود – " دى كانت المية "

" استغفر الله العظيم" قالها مرتين او ثلاث واخرج من جيب بنطالة المحفظة التى اكل عليها الزمان وشرب لم يعد
يتذكر هل كان لونها الاصلى اسود ام بنى .

"انا مش قلت لك ياراجل هاتلك محفظة عليها القيمة افرض حد من زملائك فى الشركة شافها "

"اطمنى كلهم شافوها وعارفينها" – " اخرجها من جيبه بحذر... امسكها بحذر... ومع ذلك سقطت منها ورقة
صغيرة .

انحنت الزوجة لتلتقطها لة -

" دى اية دى يابو محمد ؟!!"

" دة رقم تليفون .. رجل محترم" وهو يشير بيده اشارة ذات معنى " وغنى اوى.. كان فى الشركة عندنا وشاف

شغلى وكان عايز يسالنى عن كام حاجة وعطانى تليفونه " - طب ماتشوفة " وهى مازالت تتامل الورقة الصغيرة " يمكن ياخويا تطلع منه بمصلحة" _ "ومالة الرقم كتير كده لية"

- دة رقم تليفون محمول ..

- محمود ؟ محمود مين ؟

- محمول ياولية ! وضحك .

- "النور" .. زعق بها الرجل على الباب

- ماكاد منصور يخرج الورقة ذات المائة جنية . وهو يقول فى اسى " تعرفى دى اخر " حتى اختطفها من يده وهى تدير وجهها ناحية الباب موجهة حديثها للرجل على الباب " طيب .. اصبر!!" - ثم عادت لتلتقط مايستر شعرها فاخذت الفوطه من على كنفية. - تناهى الى سمعة صوت جدال زوجته مع الرجل - "لية؟ثلاثة واربعين جنية.. " دا احنا عمرنا ماخذنا كهربا ء بالمبلغ

عادت بما تبقى من الورقة ذات المئة لتدسها فى جيب قميصه وهى تخفى غضبها لتصنع ابتسامة على وجهها المشرق كطلعة الصبح لم تفلح السنين الصعاب ومكابدة الحياة ان تخفى معالم هذا الجمال .كانت اجمل فتاة فى الحى كانت حلم شباب الناحية .اختارها منصور واختارتة . فازيها لتكون زوجته وام اولاده الخمسة وشريكة حياة مايقرب من عشرين عاما قالت وهى تداعب هذا الذقن الحليق "على فكرة عايزين بكرة فلوس عشان" " ومحمد كمان كان حيكلمك على ... " بس انا قولت له ... " طبعاً هي اكبر وفي كلية وكمان" " وكنت انا عايزة اقولك على بس قدام شوية .. ولا اية ؟!" طيب .. طيب !! ربنا يسهل !

-اختطف علبه سجائره تحسسها .. اتنين فقط .. سيجاريتين "!! هيبيبية!"

دسها فى جيبه وعند الباب تعلق به التوأمين .

"تعرف يابابا .. اللي هيا زرقا كده ومكتوب عليها فوستوس "

"لايابابا بلاش الزرقا ..التانية الصفرا طعمها احلى "

- خلاص طيب ...طيب حاجيب واحدة زرقا... وواحدة صفرا... قولتولى اسمها اية؟! "سوستوك؟!"

ضح الصغار بالضحك وعادت الام للمطبخ .

حين وصل الى المقهى لم يكن احد من زملائه قد اتى بعد فراح يدخل احدى السيجاريتين وراح فى تفكير عميق

ومع كل نفثة دخان كان كانما يجيب عن احد الاسئلة الكثيرة التى تؤرقه لكن سؤالاً واحدا منذ امس يلح عليه .

انه هذا الرقم - لم يخبر زوجته بكل شىء . هذا الرجل لقد عرض عليه ان يعمل لدية بنفس مهنته باضعاف

ماينقاضة هنا فى مصنع " اولاد الرايق " انه يعمل فيه منذ 20 عاما تزوج وهو شاب يعمل فيه تحت يد الاسطى

خليل يعلمه اصول الصنعة الاسطى خليل الرايق هو نفسة الحاج خليل صاحب المصنع شهد هذا المكان كل ايامه

وذكرياته هذه الماكينات العتيقة جزء من حياته - فى هذا المكان وهو منبطح اسفل احدى هذه الماكينات العملاقة

ابلغوه انه رزق بمحمد ومن يومها صار لقبه ابو محمد ... الاسطى ابو محمد - يومها كافأة الحاج بمائة جنية !

واجازة بقية النهار قضى عشرين عاما من عمره فى هذا المكان جاء ناس ورحلوا - فى فترة الازمة رحل الكثير

منهم الا هو فقد بقى مع عدد بسيط من العمال - لم يرحل .

بعضهم ذهب الى المدينة الصناعية - الاسطى زغول سافر بمهنته هذه الى الخليج رآه فى اخر اجازة قال انه

" دقيقة حداد " قصة قصيرة

حين ارتفع صوت مدير الكلية بكلمة "دقيقة حداد" هب كل الجالسين من مقاعدهم وقوا . وفي تأثر بالغ وصمت بليغ , ساد سكون جليل تتخلله همهمات ...يمكنك ان تتبين بضع كلمات لأب ذو لحية كثيفة يتكىء على زوجته ومسبحة ترتعش فى يديه .."اهدنا.... سراط ... امين " .وام فى العقد الخامس تقبض بيدها على الصليب المدلى على صدرها " . المجد ... الاعالى ... " آآآآ آمين . وعلى اطراف القاعة فى الخلف تماما كان يمكنه من مكانه ان يرى سعيد معتوق فى اول صف كان من المفروض ان يمر عليه لقد اعتادا الحضور سويا الى الكلية . سيكلمة !! لماذا لم يمر عليه اليوم ليحضرا الكلية سويا !!!! لعل الواقعة بجواررة خطيبته اها لهذا السبب ... تبسم ! "ربنا يبسر لك ياسعيد ويجمعكم على خير " وهناك " محمد عبد الراضى" بشعرة المميز بهذه الهالة من الشعر المنفوش فوق راسه . هة !! ماذا كان يسميها اه " تذكرت ...عش الغراب !"

وهذا "جلال" هناك عند الجانب الاخر بجوار النوافذ بيده مندبل ابيض يجفف عرقة المتساقط على خديه !!! و "مينا" صديقة فى منتخب فريق الكرة عند الباب عاقدا يديه وهو ينظر الى الارض فى صمت .وسط هذا الجمع كان يمكنه ايضا ان يرى " سلامة الهوارى " بنظارتة السمكية,العبرى صاحب الاختراع الذى جعل اسم كليتهم يتردد فى الأوساط العلمية . رزق "المجنون " !! الغريب انه هو من اطلق على نفسه هذا اللقب !!! استدعت ذاكرته ذكرى ذلك الرهان الغريب . تراهن مع زميل اخر انه سيدخل الكلية بعود قصب كامل ! وقد حدث ...!! او يومها طرده الدكتور من القاعة وسط هستيريا ضاحة من زملائه وابتسامه انتصار على وجهه وهو خارج يحمل عود قصب ... يومها كانت سندوتشات الغذاء على حساب صاحبة هذا !!! وحبيب الكل صاحب النكتة المرحه ورسام الكاريكاتير فى مجلة القسم "ابراهيم فضل" .كان كلما نظر الى وجهه تخيل احد هذه الشخصيات الكارتونية التى يراها فى رسوماته .لقد حققوا معة ذات مرة فى احد رسوماته التى صور فيها احد اساتذه الجامعة !! كادوا يفصلوه لولا تدخل قريب له صاحب مركز مرموق

اين "محمدي رضوان" ...الثائر دوما !؟ لعله فى مكان ما هنا او هناك ..

بعض الزملاء لم يحضر بعد . اين "مصطفى النشرتى" و" صلاح الديب " و "مجدى عبد الملاك" ربما سياتون فى سيارة مصطفى السيات الصغيرة . الثلاثة يسكنون فى شارع واحد.. وفى ركن القاعة عند العامود الذى يعلوه ملصق باسم الشهداء شهداء كلية كانت هى ايضا هناك . الفتاة ذات الايشارب والكوفية وقد تسلفت خصلة من الشعر الاسود الفاحم على جبين وضىء كالبدر . كانت هى حلمة وحديثة الذى لا يحدث به احدا الا نفسة!!

دق العميد باصبعه على الميكرفون الصغير المثبت على النصب امامة . وخلفة لوحة تذكارية لم يتم الكشف عنها بعد ومازالت مغطاة بقماشة حريرية .

طقطق الميكرفون وانساب منه الصوت هادئا....رخيما.... بطيئا... حزينا .. " نحن اليوم ...
اجتمعنا لتأبين ابنائنا .. شهدائنا ... الخمسة ... الذين ...الحادث الاليم ... رحلة نوبيع ... "
" نزل الستار عن اللوحة التذكارية ..."
تطلق الجميع حولها .. . تحرك بخفة بين الجمع ,مر بزميلة فى منتخب فريق الكرة ... اشار الية
بيدة لم يرد؟!
وقف امام "رزق المجنون" الذى راح ينظر فى هاتفه المحمول وهو يقلب فى الصور !! فلم ينتبه
الية؟!
حين وصل الى اللوحة التذكارية وجد صديق عمرة " سعيد معتوق" وقد تعلقت عيناة الغارقة فى
الدموع باللوحة ...
راح يقرأ الاسماء ...! انها اسماء يعرفها جيدا !! نعم يعرفها جيدا...
وحين وصل ببصرة الى الاسم الاخير ساد صمت رهيب .. واختفى كل الناس من حولة... فقد كان
الاسم اسمة هو !

زكريا الشافعى

الاسكندرية فى 10مارس 2017

سمك وملح – اقصوصة

" تحياتى لزميلى وصديقى الفاضل الاستاذ " م . ع " الذى احكى هذه القصة عنة بتصرف

اسالوا كل هؤلاء الذين جربوا الانتقال من شقة الى اخرى – العزال او العفش "

انه ياخى قطعة من العذاب تماما مثل السفر. ناهيك عن ترك مكان ارتبط بجزء من ذكرياتك . شفتك - التى اصبحت تسميها الان قديمة- تغادرها الى اخرى .

حين انتقلنا الى شقتنا الجديدة مر على شهر او اكثر وانا اصلح هذا , واضبط هذا, واكمل هذا , واعيد تنسيق هذا مع زوجتى واولادى حتى اكتمل فرش الشقة واصبحنا الى حد ما نالفها .

اراد اولادى ان يشتروا حيوانا اليفا وكعادتهم لم يتفقوا

نجيب كلب ... لا لا كلب اية وزفت اية !! ..دة بيمنع الملايكة

احنا نجيب قطة ...

- ماهى برضة بتمنع الملايكة زيها زى الكلب

- ... لا الملايكة بتحب القطط ...

- هههه وانت ايش عرفك ان الملايكة بتحب القطط

- انا مبحبش القطط خلاص ... انا حاجيب سلحفة ...

- يع !!! بطيببيينة ومافيهاش اى فكرة -

- يعنى اية مافيهاش فكرة ... مش حركة كده وبتعمل حركات زى القطط !!

- انا عندى فكرة احسن نجيب عصافير ...

- اة ودوشة بقة وكده صح !!! ...دوشة !!! العصافير دوشة ؟

-يابابا يابابا واندفع الاولاد نحوى وكننت مازلت اتناول طعام الغذاء رغم ان الساعة قاربت على التاسعة ليلا.

طبعا لست فى حاجة لان اقول ان جدالا اخر حول من يقول اولاً ومن يقدم فكرته اولاً قد استمر فترة كافية ...كافية

لان اكل سمكة كاملة – نعم كان غدائى الذى ادخرته لى ام الولاد سمكا ...

اشتروا سمك ! نظر الى الاولاد فى دهشة ! سمك اية ؟

اقصد اشتروا حوض سمك ...

ورحت وانا اتمتع بمصمصة السمك انظر الى هذه الدهشة التى بدت على وجوههم..... ثم ابتسامه الرضا والقبول

_مر يوم فقط اربعة وعشرين ساعة فقط اربع وعشرين ساعة وكننت فى طريقى لشراء حوض السمك _ هذا

بالطبع_ بعد ان سمعت يابابا امتى حتشتري السمك (يعنى حوض السمك) اكثر من قدرة اى اب على العد!!

واشتريت حوض السمك ...

وفى صمت جليل وهدوء مهيب تحلق الاولاد حولى ونحن نشهد اللحظة الخالدة !. لحظة ملء الحوض بالماء !

وقد حرصت على الا اعرض نفسى للسؤال الذى كنت ساسمعة فى اليوم التالى – "جبت السمك يابابا؟"

قلت فى نفسى وانا عائد من عملى مجهد اتمس الطريق الى وقد كدت ان اصل الى اول الشارع – سيسالوننى !

وحدث بالفعل و قبل ان اصل للبيت – رن المحمول فى جيبى

يابابا جبت السمك

اجيب من فين سمك دلوقتى - خلينا بكره

- لا يابابا احنا عرفنا ان فية واحد بيبيع سمك فى اخر الشارع بتاعنا

كسرة شخصيات الافلام الكارتون وجدتهم امامى على باب البيت قلت فى نفسى " الامر لله "

-تحسست جيبي ... اه يابو الاشبال ياترى بكام السمك ده ؟

دهشت حين وجدت ان البائع امرأة عجوز وابنتها الصغيرة هى من تساعدنا فتاة لاتتجاوز الرابعة عشر – لكنتها توحى بانها ليست مصرية تعجبت !! فتاة من البوسنة فى مصر تبيع سمكا !! ولاتتقن العربية تتكلمها كانها تنحتها من صخر ! .

- الحمراء يابابا الصفراء ... واللى فيها خط ازرقه جميلة ناخذها برضة ... وهكذا حتى اشترينا اتناشر سمكة ..هه ثم ماذا .

-قالت الفتاة الصغيرة كلاما فهمت منه اننا نضع ملح !!

_ " هى قالت ملعقة يا بابا" صاح الابن الاكبر

- بادرة الصغير وهو يصيح _ "لا قالت كيس !"

_ لا هى قالت و راح يقلد كلام الفتاة قالت "ملعقة كلة "

- "لا كيس كلة..."

وضعنا الكيس كله !! فقد قدرنا ان ملعقة فى حوض كبير كهذا ليس لها تاثير يذكر

-فى الصباح وجدنا اثنى عشر سمكة تطفو على سطح الماء ! ميتة !!!!

حين رويت ماحدث لاحد اصدقائى ضحك حتى دمعت عيناه وراح يكرر "لية !!... كيس ملح !! ؟ حتعمل فسيخ ؟!!!

مر اسبوع اشترينا سمكا اخر راحت بضع سمكات تمرح فى الحوض بينما نحن لاتنقطع نظراتنا قلقا . لقد هجر

الاولاد المحمول والتلفزيون وراحوا يتابعون الاسماك الجديدة فى قلق وترقب .

جلست فى لك اليوم اتناول غذائى وقد كان سمكا ! ... نعم تعرف زوجتى عشقى للسمك ,وهى بارعة فى طهية ..

وبعد ان مهدت وافتحت بملعقتين رز بنى وملعقتين سلطة ... تناولت سمكة لكن لدهشتى كان ثمة شىء ناقص ...

-اية ده يا..... انتى محطيتيش ملح على السمك ؟!

اندفع الولدين من غرفة مجاورة كالصاروخ

- "لا اااااااا بلاش ملح على السمك يابابا !"

زكريا الشافعى – سبتمبر 2017

صديقي م.م

قليلة هي تلك المرات التي رايتيه فيها لايبتمسم . فهذه الابتسامه هي جزء من تقاطيع وجهه . جزء من تكوينه وركن اساسى فى شخصيته . انه واحد من هؤلاء الذين يملكون هذا الهدوء النفسى والسكينه الروحيه . واحد من هؤلاء الذين هم فى تصالح مع انفسهم . وتلك نعمه لايعرفها الكثير من الناس . بسيط غير متكلف يدهشك حين يتكلم بتلك التلقائيه الغضه والعفويه النضرة فكانما انت امام طفل لم تلوثه سخافات الكبار او ملك نقى لم تدنسه ذنوب البشر

كنا نتحدث عن ذكرى ثورة 25 يناير ماذا كنا نفعل حينها واين كنا وكان لكل منا ذكرى . كان ينظر الى كل منا ونحن نتبارى فى ذكرياتنا . حين التفت الية احدنا وقد كان يتابع حديثنا بابتسامه عينية حين سالة : وانت يا... اين كنت؟

ضحك وسكت برهة ثم راح يعبر باحدى يديه ولسانه عن كلمة " ايس كريم " !

"كنت رايح اشترى ايس كريم "

ثم قال فى هدوء وبذلك التلقائيه , انا فى الحقيقه كنت لااعرف ان هناك ثورة !

وضحك..... فضحكنا جميعا.....

- " كيف لم تعرف والدنيا كانت كلها تعرف؟!حتى من قبلها !!

قال " انا لاشاهد التلفزيون, لانه ليس عندى تلفزيون ! وايضا لاسمع الراديو ولاقرأ الجرايد ! حينها التفتنا اليه جميعا وتركنا مايدينا لنسمعه... "

نعم فعلا ليس عندى تلفزيون نعم اشتريته قريبا ولكنى ايضا لاشاهده ! لم اكن اعرف ان هناك ثورة. لقد نزلت الى الشارع ومعى زوجتى وطفلتى الصغيره كى اشترى تموين البيت من احد المحال الكبرى. ورحت اسير فى الطريق وانا اتعجب ; من خلو الشوارع من المارة. ثم العجب كل العجب من وجود عدد من الناس عند ناصية احد الشوارع واحدهم يحمل فى يده سيفا اشار بطول زراعة الى حجم السيف ! وراح احدنا فى نوبه ضحك عال ولم نكن فى حاجة لنعرف ان هؤلاء كانوا اللجان الشعبية عند مداخل الشوارع !

كنت اقول فى نفسى "هل هى مشاجرة والناس يحملون السيوف ... يااه هى وصلت للدرجة دى ؟!

مررنا باناس راحوا ينظرون الينا فى عجب !

هل الوقت ليس مناسباً للتمشية! لقد كنا فى رائعة النهار !!!! وماالعجب ان رجلا يمشى مع جماعة والجماعة يعنى المدام ! تبا لهؤلاء الرجعيين !هل من المفروض ان احبس زوجتى فلا ترى الشارع.. !!!

سرنا فى شوارع خالية نظيفة هادئة !!! كان هو هذا الهدوء الرائع الذى كنت ارجوه دوما .لذلك رحلت املاء صدرى من هذا الهواء الندى المنعش فى رحيل ايام يناير الاخيره . كنا فرحين ! ... ياللعجب قلت فى نفسى "تلاقيه ماتش كورة ... تخلو الشوارع اثناء مباريات الكرة للفرق الكبيرة ! نعم انها مباراة بلاشك... "

حين بدا لنا السوبرماركت الشهير ونحن على الجانب الاخر من الطريق الكبير الفسيح كان هذا السوق الضخم الشهير قد اغلق معظم ابوابه واحتشد عمالة فى الخارج عند الباب الرئيسى ؟! نظرت فى ساعتى ! هل هو وقت الراحة ! انه وقت تغيير الورديات بلاشك... ! ولكن الغريب انهم متحفزون كانهم مضربون عن العمل ... ان بعضهم ايضا يحمل عصى !! . "ياالله.... هى بلاشك عركة كبيرة سوف تاتى الشرطة بلاشك !!! .. "

وقفت على الجانب الاخر من الطريق ورحلت اتجول بعينى . اين ذلك الدكان الصغير الذى يبيع الايس كريم. سنشترى ثلاثة... سألت زوجتى : هل نشترى قبل ان ندخل السوبر ماركت ام بعده !!

ظهرت سيارة جيش تحمل جنودا يحملون السلاح مرت كالبرق من امامنا ! ثم على اول الطريق تحركت دبابة !
اه... نعم ... لقد جاءوا ليوقفوا هذا الشجار ! لاشك ان الامر تجاوز الشجار العادى... نعم استطيع ان اخمن ذلك

ثم رايتها لأول مره فى الحقيقة ... دبابة ... ! ياللهول دبابة !!

لا ... ! نحن فى شارع مصطفى كامل... فى قلب المدينة . وقفت الدبابة عند اول التقاطع وسدت الطريق – حينها فقط
قررت ان لامجال للايس كريم ولا عصير القصب لقد قررنا ان نعود للبيت فثمة امر يقلق !

عند اول شارعنا جرى ناحيتى صديقى وجرى محمود ربيع
اية يا ... اية اللى مخرجكم فى الظروف دى ؟
ظروف اية ؟ ... هوه فية اية ؟

ثم قالوا لى ان ثورة قد حدثت

تعشينا بيضا مقلبا ونمنا بعد صلاة العشاء

جاء زميل من خارج الغرفة اشار الينا بيده ان دفتر التوقيع للانصراف قد خرج .

تمت

زكريا الاسكندرية فى ذكرى يناير "غضبة شعب "

"عشرة عمر "

كنا صغارا فى ذلك الزمن الجميل نحيا هذا العمر الغض بكل رحابته وبساطته وكانت المدرسة على اطراف الحى تحملنا اقدامنا الصغيرة اليها فى بضع دقائق كنا نظير جريا الى بيوتنا . وكان الاستاذ عمارة هو مدير مدرستنا الابتدائية . شخصية فريدة تدهشك حتى بتفاصيلها الدقيقة وبساطتها الرائعة ثم بقدراتها الاجتماعية الفذة وتدهشك ايضا بتناقضاتها تعجب حين تعلم ان الشىء ونقيضة يجتمعان فى شخص هذا الرجل . و تعجب كل العجب من هذه الذاكرة الرائعة التى يتمتع بها الرجل فقد كان يعرف الطلبة ولدا ولدا وبننا بنتا . كان الرجل يستطيع ان يتذكر ان احدنا قد حضر متاخرا فى يوم كذا من الشهر الماضى او ان درجاته فى مادة كذا كانت منخفضة بل اكثر من ذلك كان يعرف اين يقيم كل منا خد ياد يابن عبد الجواد :ابوك عامل اية ياولا ؟ هة فك الجبس والالسة ياواد يا حسين يابن بنت الشيخ صالح : ابوك ياواد صلى الجمعة اللى فاتت فين ؟

كان يقف خارج مكتبة وينادى "انت ياواد يابن الهرمة منك لية"!!! صوته فقط كان كافيا لاستتباب الامن والهدوء فى الخمسة عشر فصلا بل فى بعض غرف المعلمين التى ينبعث من بعضها نقاش حاد

وقد كان ذلك الرجل الذى تجتمع عنده القلوب كان هو الرجل الذى تجتمع عنده كل الخيوط . فى العمل , وخارج العمل . فهو فى المسجد وفى النادى او قل استراحة المعلمين كما كنا نسميها وفى احتفال الاستاذة منال بمولودة ابنتها . وفى تطيبب خاطر سلامة العامل الذى فقد ولده . وهو عند دار اهل سكيئة مرات الاستاذ عبد الجواد معلم التاريخ ليردها الية بعد ان ظلت اسبوعا فى دار ابيها.

كنا طلبة فى مدرسة المنشية الابتدائية وكان الرجل مديرنا كنا نهابه و ونحبه وكان كل اباء الطلبة يعرفونه . كان هو هذا الخليط المستحيل النادر من الشدة والرقه , الصرامة والحنية . كنا نراه تائرا حتى لاتقف الدنيا امام احدى غضباته ونراه يحادث طفلا ويساله ويمازحه ويضحكه كأنه صديق سنة .

كنت افرح بزيارة ابي للمدرسة فقد كان رحمه الله وجيها يحسن ملابسته وكنت ارى كيف انه يرحب بابى ويسال عن جدى فهو يعرف الشيخ شافعى اب ابي لكنى كنت اتوجس خيفة من لحظة دخولى مكتبة فقد كنت اظن ان الرجل سيقرا افكارى ويعرف ما فعلت وما سوف افعل.

نعم كنت مجتهدا فى دراستى واظن ان ابي رحمة الله كان فخورا بذلك ولكنى كنت ايضا هذا اللهو الخفى والعفريت الشقى وقد حافظت حتى هذه اللحظة على الا يعرف الرجل هذا الجانب منى

نعم كنا نسمع صوتة مجلجلا وهو تائر يؤنب احدا ما على تقصيرة فتجد الجميع وقد اسرعوا يراجعون انفسهم ليتأكدوا انهم لن يكونوا عرضة لمثل هذا التانيب . كان صديق عمرة الاستاذ عبد الرضى , جمعت بين الرجلين صداقة عمر طويل وزمالة فى العمل . لعل كلاهما كان يحرص على ان يكون فى نفس المدرسة التى يعمل بها الاخر وكانت هذه هى الرابطة الروحية بينها تجعلك فى عجب فقد كانا كأنما روح فى جسدين يعرف كل منهما مايفكر فى الاخر , وقلما وجدنا ان للرجلين رايتين مختلفين ومن غريب الامر ان الاستاذ عبد الرضى كان هو الاخر اذا ثار على ضوضاء الاولاد يصيح فيهم " ياواد يابن الهرمة منك

لية "

فكانما تسمع الاستاذ عمارة المدير

و ذات يوم اختلفا وراينا بام اعيننا هذا الحزن الدفين فى عيني الرجلين فقد انزوى الاستاذ عبد الرضى فى حجرته يكاد لا يكلم احدا و راينا المدير وهو يكاد لا يقوى على السير فى فناء المدرسة وهو يجوبه صامت لا يكلم احدا حتى انه مر بولدين يتشاجران فلم ينتبه اليهما .

مر يومان كان يمكن لاي احد ان يدرك فيهما هذا الفارق فقد كان المكان ايضا صامتا حزينا جانت الاستاذة اعتدال وهو امراة بدينة جدا كان بعضنا يتندر على مشيتها المتثاقلة . والاستاذ سلامة معلم اللغة العربية رجل لم يسمعه احد ينطق كلمة عامية وكنا نتندر احيانا ونقول انه جاء من العصر العباسى كان اذا القى كلمة فى اذاعة المدرسة لانفهم معظمها لاندرى هل لحدائة عمرنا ام لان الرجل كان يعجب من ذخيرة اللغة وعباراتها التى تستعصى على الفهم

راح يتكلم همسا مع الاستاذ محجوب وقد انضمت الى الحديث الاستاذة اعتدال

-..... والله يا جماعة هذا امر محزن لم ارهما ابا هكذا !!

- .. نعم يااستاذ يعنى مش ممكن حضرتك ... يعنى وتصلح بينهم ؟

- والله سافعل ما بوسعى ؟

وكان اجتماع من تلك الاجتماعات الدورية التى يحتجم فيها معلمى المدرسة .

حضر الجميع فى القاعة الشرقية ولم يات المدير بعد ولا تحرك الاستاذ عبد الرضى من غرفته.

اخبروا المدير ان الجميع حضر. هز راسة وحانت منه التفاتة ناحية هذه الغرفة فى اقصى فناء المدرسة

.....

جلس المدير على كرسية صامتا . جال بعينين حزينتين وبنطرات تائهة الى هذا الجمع من المعلمين امامة ثم ثبت عينيه على ورقة بين يديه انتظر الناس كلمته التى اعتادوا ان تكون درسا وعظة وبسمة فقد كانت ابتسامته ونظرة الودود التى يوزعها على الحاضرين لانفارقة ابا وتعليقة الساخر الضاحك على بعض الاحداث هو حديث الجميع وتعليقهم لبقية الاسبوع . لكنه ازاح الوريقات الى الجالس بجواره و اشار عليه ان ينوب عنه فى الكلام ,

قال الرجل بضع كلمات ثم ساد صمت رهيب خرجت من بعده الكلمات من فم المدير كأنها البكاء

- حد يبلغ ال..... توقف برهة قبل ان ينطق كلمة الاستاذ ... عبد الرضى - فلم يعتد ان ينادية الابل تلك الاسماء التى جمعتهم فى الطفولة جيرة و طلبة فى نفس المدرسة ثم فى كل مراحل العمر حتى تخرجا سويا من مدرسة المعلمين.

فهو عبده - وراضى - والرف (وهذه لانه كان صديق ملاعب الصبا وكان يجيد التحكيم)

وكان الاستاذ عبد الرضى يمازحه بلقب الكبير ثم يلتفت الى من حولة ضاحكا "هذا كبيرهم ان كانوا " ويتبسم من فهمها ويقهقه الكبير.....

_ انت كبيرنا انت اكبر منى ... اى نعم انت اكبر منى ب 3 شهور

كان الكبير او المدير غارقا فى افكاره وهو جالس حتى اخرجة كلمة يامدير التى نطق بها الحاج على

والحاج على هكذا كانوا يسمونة لم يكن احدا يلقبه الابهذا اللقب كان اكبر المعلمين سنا وكان الاخصائى الاجتماعى

- يامدير !!

وهكذا خرجت الكلمات من فم المدير بطيئة حزينة . كان بوسع الجالسين ان يسمعوا انين صدر وبكاء قلب رجل خط الشيب فى خطوطا عريضة كانت الكلمات تخرج من صدره فمة حرى ثم وقف وهو يجاول جاهدا ان يستجمع

" قولوا لعبده احنا ماينفعلش نخاصم بعض لاننا وكان شهقة مكتومة فى صدر الرجل اجنتت الكلمات الباقية فصمت

وتوارت العينان الطيبتان حين ملاههما الدمع . ثم هب واقفا وغادر الاجتماع .وساد هذا الصمت الخزين والكل فى دهشة وهو يتجة الى باب المدرسة ثم يعود الى الساحة الكبيرة التى تتوسط البنائين ثم الى غرفة فى اقصى فناء المدرسة وهو يصيح بصوت متحشرج.. ياعبدهياعبده

وقبل ان يصل كان الاستاذ عبده قد وثبت الية وانخرط الرجلان فى بكاء وعناق ثم ضحك وبكاء ثم عتاب مش عيب عليك ياراجل تبكى ههه

-لا انا مايبكىش انت اللى بتبكى

حتفطرنى والا اية انا مفطرتش بقالى يومين

يعنى انا اللى فطرت ههههه

نشوف حد يفطرنا حينها كان هذا الجمع من المعلمين يصفق ويهلل وهم يسرعون الخطى تجاههما وكان الاستاذ سلامة اول من حضر وقد وصلت مسامعة هذه الكلمات الاخيرة وقد اتسع فمة عن ابتسامة عريضة لم تفلح لحيتة الكثيفة على اخفائها وهو يقول

- لابس . على قراكما "

فانفجرا ضاحكين

زكريا الشافعى

الاسكندرية فى يولية 2017

عمى جمال المصرى

كان ابى وكل اعمامى السبعة وعماتى يسمعون حين قال جدى
- " شجرة الجميز... اللى برة دى.. من عمر سعيد ولدى الكبير " وراح ينظر فى ابناء اعمامى الصغار كانما يبحث عن عمى سعيد وهو صغير فيهم
!!!

نعم كنا جميعا هناك فى الدار الكبيرة التى كانت تجمعنا دوما فى الاعياد والاجازات يجتمع اعمامى وعماتى ياتى البعيد والقريب . كان الجميع
هناك حتى عمى اكرام التى تعيش فى الخليج منذ اربعة عشر عاما جاءت , لم يات معها احد من بناتها ولاحتى زوجها. نزلا فى شقتهم الجديدة فى
الاسكندرية .

عمتى ام سليم هى الاكثر شيها بابيها . دخلت وهى تحمل الشاى... صينية امتلات صفحتها باكراب الشاى الثقيل الذى اعتدناه بعد وجبة دسمة جمعت العائلة
وضمت عدة اجيال منها . راح الجد يجول بعينية المنهكتين وهو يمسك بكوب الشاى بيد مرتعشة . وكانما يبحث عن احد... كانت ام سليم من وقت لآخر تمسك
الكوب من يده لتساعده لكى يرشف منه.
سألها الجد "لم يأت جمال؟"

لم ينطق احد بكلمة - ساد صمت جليل - ربتت ام سليم على ذراعه وشبت بجسدها الكليل الذى انهكة كفاح طويل مع زوج عليل. كان لايقوى على الحركة فى
اخر ايامه لم يمض على وفاته كثير.

- واسكنته بقبلة حانية على راسه "جاي يابا...جاي".

وكانها ام ايها اطرق الجميع فى صمت واغرورقت بعض العيون بدمع صامت. قطع الصمت رشفة شاى وكلمة "هيبيبة... الله يرحم الجميع".
رحل جمال كما رحل ابوسليم - ابوسليم هناك يرقد غرب البلد .

ابوسليم... ابوسليم...؟! لم احسبني اذكر للرجل اسما الا هذا. وتعجبت ان لأحد من ابنائه الاربعة الذكور اسمة سليم , وددت لوأسال- شىء ما منعنى ,ربما
اسال ابى فيما بعد . اخشى ان يكون فى الامر ذكرى ما فيها مايؤلم .
لا لم يات العم جمال ! كان العم جمال اقربهم الى قلبى كان شابا لاتسع الدنيا ضحكته . تكاد قدماة تطيران من فوق الارض . تحس انه يطير يزور الاخ والعم
والخال . صباح فى الاسكندرية ومساء فى طنطا . جمعة فى ابى العباس وجمعة فى النور فى العباسية . تجده فى الصباح اذا اصبح فى الاسكندرية ايقظ عائلة
اخية ليفطر الجميع بالفول والطعمية التى تسرى رائحتها مختلطة برائحة البيض بالبسطرمة يتبسم الجميع فى وجهة وهو يدلف الى المطبخ بنفسه ليعد
الافطار . تعجب امى من قدرته على ايقاظنا جميعا .

همس عمى ابراهيم فى اذن ابى مرة انة ربما كان مع الخمسة عشر مهاجرا غير شرعى الذين غرقت بهم المركب فى طريقهم لايطاليا
بعض من كانوا على المركب اعطونا مواصفات اقرب الية . يقول احدهم رفعى على صندوق "عالم وغاص لينفذ زميل اخر". " نعم كان جمال... ولم يكن
احد منا يجب ان يقول اسمة ولاجنسيته كنا قد مزقنا الاوراق"

- زوجة عمى عبد العاطى موجة اللغة العربية تؤكد انه كان فى التحرير فى بداية الثورة مع اولئك الشبابفقد مر عليهم فى بيتهم فى شبرا فى القاهرة
"كان معهم " تقولها بيقين "عرفت من ملابسة ... فرك بيده بقعة حمراء على قميصة ..كانت دم صديق له " لاتترى بعد يوم خمسة وعشرين يناير بخمسة
ايام ام ستة .

زميل لة فى البلد يقسم انه كان يحدثة عن فرصة حقيقة للعمل.... فى ليبيا.

يقول اسالوا فلان فقد كانا فى القاهرة سويا يرتبان لهذا .

سمعت كلمات من حديث هامس بين عمى صلاح مفتش المباحث وزوج عمى صفية رجل ذو نفوذ يعمل بالمقاولات والبناء
"...ياصلاح بيك .." يعنى موش منهم "

اصغينا " --- اصحابة اللى همادول لا كلهم فى السج.."

يعنى هو كان من الاخوان !!!!!؟"

..... كان عمى جمال يدخن ويضحك ويسخر ويداعب الجميع كنا نعلم فتاتة التى يحبها ونسمع شعره فيهاوكانا نظرب لغناء... ونضحك لنكاتة ..حتى
البدى منها .

يدندن بشىء مألوف .. لا اعرف ماهو.. وهو يمشط شعرة الناعم الكثيف .

يلحق ذقنة.... يجعلها ناعمة.... يلتقط الشعيرات الشاذة هنا وهناك . يداعب صورته فى المرآة قبل ان يسير بخطى ويده الى الزاوية البعيدة ... زاوية الشيخ
ربحان ,فى اطراف الحى هناك اعتاد ان يصلى الجمعة ... يعجبة الشيخ هناك... يقول الرجل "ممكن".

- جارتنا الحاجة روحية امراة فى العقد الخامس من عمرها ...زوجها حبيس منذ سنين قاد الرجل احتجاجا على تأخر الرواتب فى احدى شركات الغزل
فقبض عليه. مازال خلف القضبان بعدة تهمة ليس منها انه احتج ؟!. سارت فى كل تظاهرة تندد بالظلم وصرخت باعلى صوتها مع الجموع تنادى بالعدل .
ذهبت الى كل مكان اجتمع فيه محتجون ... كانت تصرخ وتنادى باعلى صوت وتدعو ان يعيدوا اليها زوجها لم تعد تقوى على هذا الحمل الثقيل . تقول
انها رأت عمى جمال يحمل صندوق كبيرا من زجاجات المياة قبيل المغرب فى رمضان كانما يجرى به

اخذنى احد اصدقائى من يدى فى الجامعة وقال تعال استمع لهذا

- رايت شابا شعره كثيف.. يكاد يحجب وجهة المنكب على التابلت , واصابعه التى تتحرك على سطحة اللامع الزجاجى فى خفة .

لايمكن لعيناك ان لاترى هذا الخاتم الغريب لجمجمة فى اصبعه الاوسط وهذه السيجارة المنسية وهى تحترق فى صمت بين احدى اصابع يده الاخرى
وهذه الشنطة المشدودة على ظهره كانها جزء من ملابسة .

لم يشعر بخطواتنا المتجة اليه الا حين ناداة صاحبي بلقب ما لأذكره قال "جى.. او تشى !!" شىء من هذا القبيل .. هب الفتى ليرحب بنا . حيا صديقة بحرارة .. وسلم على بكل ود وابتسامة عريضة تضىء وجهة .
"قل له..." قالها صاحبي . نظر الشاب الى نظرة جادة تغيرت فيها كل ملامحه بدا لى منذ لحظة شيئاً اخر .

قال "هل تعرفه..؟" وجال بنظرة بينى وبين صاحبي

"قلت نعم " .

رفع امام اعيننا صورة على اللوح الزجاجى اللامع . كانت لوحة حائط كبيرة

- "هذه الجدارية رسمها " انا لا اعرف اسمة هذا العمل الرائع ... بدأه هو ... وساعدناه فى اكمالته .. للاسف ليس عندى صورة له الا هذه " .

مر شهران مات جدى... واختلف اعمامى , تشاجر بعضهم ... سب ابن اقدمهم عمى الاكبر فى وجهة . اخرج اقدمهم سلاحه !!! . هدد به ابن اخية .
"ولد قليل الادب " .

دوت صرخة امراة فى قلب الدار .

تركت ام سليم الدار.... هجرتة .

حين عاد ابى للبيت ذات مساء صامتا لمحت امى فى عينية هذه الدموع الصامتة دموع الرجال وهو يلقى فى يدها هذا المبلغ الضخم من المال لم اكن فى حاجة لان اسأل ... دخل ابى الى غرفة نومة ولم يتناول العشاء .

حين علمت ام سليم ان المقاول الذى اشترى الدار قد هدمته بكت .

قالوا انها كانت تبكى.... وتذكر عمى جمال . بكت حتى مات فيها البكاء

بحثت عن صور لعمى جمال ... فى الاعياد , فى الأفراح , فى اعياد ميلاد الاولاد . فى الرحلات , فى المناسبات .

كان جمال هناك فى كل مناسبة ولكن لم تكن له صورة !!!..

" قالولو "

كنت اجلس الى هذا المكتب الصغير بعد ان انتهيت من احدى حصصى حين جاء الى الاستاذ س بابتسامته المعهودة وكلمة الترحيب التى لاتغيب عن لسانه فانا مازلت احدث الوافدين على المدرسة فانا كما تعلمون اعمل معلما فى المدرسة الثانوية . جلس الاستاذ س وقد كنا نتجاذب حديثا مرحا مع بعض زملاء نعلق فية على احدى سليات مجتمعنا التى كثرت حتى ماعدنا نقوى على تحمل الحزن عليها فكنا نسخر منها لنضحك . وضحك حين ضحكنا جميعا ثم استبق الجميع وبدا كأنه يوجة الكلام الى:

- "ساحكى لكم قصة ... " ونظر الى وهو يبتسم ابتسامة فهمت انه يذكرنى بأنى اكتب قصصا .
وبالفعل قال " لست اجيد القصص مثلك يااستاذ ".....

لكن دعنى اقول لكم انها قصة حقيقة... نعم فقد رأيتها بأى عيني . واقسم الرجل فقلنا انه لاداعى لذلك فكلنا يصدقة
ثم تركناه يروى القصة ..

قال " هل تعرفون وقت ان كانت شرطة المرور توقف التاكسيات لتمنع ركوب اكثر من طلب فى المرة
الواحدة؟!!!!"

" فاكرين الايام دى؟! ايام كانت الاسكندرية احسن وانصف " .

وطبعا بعد ان تحسنا على هذه الايام, سكتنا جميعا ليكمل الاستاذ "س" قصة . قال " كنت قد اخذت تاكسى من
الابراهيمية, حيث اسكن الى سيدى جابر فى زيارة لاخى..... وكان ليل الاسكندرية قد غطى شوارعها الفسيحة....
توقف السائق لاثنين كانا يشيران الية . ولدهشتى كانا كفيفين!!! وكانا فى طريقى ايضا اخذهما السائق وراح يشق
شارع ابوقير الى وجهتنا " .

" واثناء الطريق لاحظت ان السائقين فى الاتجاه المقابل يشيرون الينا. ففهم السائق ان ثمة لجنة -يعنى كمين
للشرطة على الطريق للتفتيش _ تفتش على سائقي التاكسى الذين يحملون اكثر من طلب. لم اكن بالطبع امانع ان
يكون معى راكب اخر , خاصة اذا كان الامر يتعلق بماهو انسانى وواجب..... وقد قلت لكم... كان الرجلان
كفيفين!!!"

"راح السائق ... وقد ادرك انه على بعد امتار من اللجنة , يؤكد على الرجلين , اكثر من مرة, لكى يقولوا اننا طلب
واحد , وان اسمى "احمد صالح" واننا جميعا مع بعض!!!"
كررها السائق اكثر من مرة وهو متجة الى الكمين ببطء .

اقترب الضابط من السيارة وربت بيده على احد زملاء الرحلة الجالسين خلفى . فانطلق الرجل بصوت هادر:

"..خلاص ياخى بقة فهمنا .. حنقول ان الاخ اللى قدام دة اسمة " احمد صالح" واننا كلنا مع بعضينا ... مش حكاية
يعنى!!! " .

!!!.....!!!

ضحك الضابط حتى خرج عن وقار الزى الرسمى بالنجمتين اللامعتين ... وتركنا نمر .

الاسكندرية 3مارس 2017

زكريا (مع شكرى وتقديرى للزميل الاستاذ س)

" قالولو "

كنت اجلس الى هذا المكتب الصغير بعد ان انتهيت من احدى حصصى حين جاء الى الاستاذ س بابتسامته المعهودة وكلمة الترحيب التى لاتغيب عن لسانه فانا مازلت احدث الوافدين على المدرسة فانا كما تعلمون اعمل معلما فى المدرسة الثانوية . جلس الاستاذ س وقد كنا نتجاذب حديثا مرحا مع بعض زملاء نعلق فية على احدى سلبيات مجتمعنا التى كثرت حتى ماعدنا نقوى على تحمل الحزن عليها فكنا نسخر منها لنضحك . وضحك حين ضحكنا جميعا ثم استبق الجميع وبدا كأنه يوجة الكلام الى:

- "ساحكى لكم قصة ... " ونظر الى وهو يبتسم ابتسامه فهتمت انه يذكرنى بأنى اكتب قصصا .
وبالفعل قال " لست اجيد القصص مثلك يااستاذ ".....

لكن دعنى اقول لكم انها قصة حقيقة... نعم فقد رأيتها بأى عيني . واقسم الرجل فقلنا انه لاداعى لذلك فكلنا يصدق
ثم تركناه يروى القصة ..

قال " هل تعرفون وقت ان كانت شرطة المرور توقف التاكسيات ل تمنع ركوب اكثر من طلب فى المرة
الواحدة؟!!!!"

" فاكربن الايام دى؟! ايام كانت الاسكندرية احسن وانصف "

وطبعا بعد ان تحسنا على هذه الايام, سكتنا جميعا ليكمل الاستاذ "س" قصته . قال " كنت قد اخذت تاكسى من
الابراهيمية, حيث اسكن الى سيدى جابر فى زيارة لاخى..... وكان ليل الاسكندرية قد غطى شوارعها الفسيحة...
توقف السائق لاثنين كانا يشيران الية . ولدهشتى كانا كفيين!!! وكانا فى طريقى ايضا اخذهما السائق وراح يشق
شارع ابوقير الى وجهتنا "

" واثناء الطريق لاحظت ان السائقين فى الاتجاه المقابل يشيرون الينا. ففهم السائق ان ثمة لجنة -يعنى كمين
للشرطة على الطريق للتفتيش _ تفتش على سائقي التاكسى الذين يحملون اكثر من طلب. لم اكن بالطبع امانع ان
يكون معى راكب اخر , خاصة اذا كان الامر يتعلق بماهو انسانى وواجب..... وقد قلت لكم... كان الرجلان
كفيين!!!"

"راح السائق ... وقد ادرك انه على بعد امتار من اللجنة , يؤكد على الرجلين , اكثر من مرة, لكى يقولوا اننا طلب
واحد , وان اسمى "احمد صالح" واننا جميعا مع بعض!!!"
كررها السائق اكثر من مرة وهو متجة الى الكمين ببطء .

اقترب الضابط من السيارة وربت بيده على احد زملاء الرحلة الجالسين خلفى . فانطلق الرجل بصوت هادر:

"..خلاص ياخى بقه فهنا .. حنقول ان الاخ اللى قدام ده اسمه " احمد صالح" واننا كلنا مع بعضينا ... مش حكاية
يعنى!!! " .

!!!.....!!!

ضحك الضابط حتى خرج عن وقار الزى الرسمى بالنجمتين اللامعتين ... وتركنا نمر .

الاسكندرية 3مارس 2017

زكريا (مع شكرى وتقديرى للزميل الاستاذ س)

قصة بلانهاية

حين نظر فى ساعته وهو يسرع الخطى فى طريقة الى عملة كانت الساعة قد تجاوزت السابعة بقليل , فدفعه ذلك الى ان يزيد من سرعته . فصارت خطواته وثبا, وصار كلما ضاق به الرصيف وثب الى الطريق, فهو لا يستطيع ان يبسطه . نعم , لا يمكنه ان يسيطر على قدمية اللتان تعملان الآن كالآلة . حتى اذا زاحمة المارة فى جانب الطريق , راح يسير بين السيارات المتكدسة فى الطريق وتكاد تسير بسرعة لا تزيد على المارة قليلا كان يسير غير عابىء بالسيارات التى تكاد تلامسه وهى تمر بجواره , وهو يكاد يسمع سباب السائقين المختلط بابواق سياراتهم . كان يمرق كالسهم وسط هذا الطوفان الهادر من الذاهبين الى عملهم, وطلبة المدراس وعمال اليومية. خليط من الناس من باعة ومارة وفتيان فى مقتبل العمر مجتمعين على احد النواصي. ورجل كهل يسير بعصاه وهو يحمل فى يده صرة كبيرة يقطع طريق المارة , فلا يملك الناس الا ان يسيروا على سيرة فى هذا الممر الضيق الذى سمحت به هذه السيارة المتعطلة التى تركها صاحبها منذ امس .

لا يريد ان يتاخر فقد خصم من راتبة فى الشهر الماضى بسبب هذا التأخير . ولم يفلح فى اقناع مدير عملة بشىء من اسباب تاخره كل يوم هذه العشر دقائق لم يكن الرجل يعرف شيئا اسمه السبب والمبرر كان يعرف شيئا اسمه القانون يعرفه ويتلوه على مسامع موظفية كلما اخل احدهم بعمل ما

– "النص يقول" – " والمادة... تلزم .. وتفرض... وتقرر" وكان يعرف شيئا اخر اسمه " اللوائح". وكانت اللائحة الداخلية قدسا آخر لا يمكن ان يسمح بانتهاكه , لذلك كان هو فى نظر مديره نموذجا فجا وقحا للموظف السىء .

كان مديره رجلا غليظا جافا لم يذكر احد انه راه يبتسم كانت المرة الوحيدة التى يذكرونها كانها تاريخ وحدث لا ينسى يوم جائت لشركتهم هذه السكرتيرة من مكتب شركة الطيران فى المبنى المجاورة .

- ياللهول لقد تاخر ثانياة لقد اصبحت السابعة وخمس دقائق اسرع اكثر فاكثر فى سيرة. وحين بدا له مبنى الشركة ,

جرى.

نعم جرى!

متجاهلا كل نظرات الدهشة من حولة . كانت سيارة المدير التابعة للشركة هناك بجوار مدخل الشركة .

وكالعادة كان سائقها بالداخل لا يغادرها . فالتعليمات التى سمعها هذا الرجل ايضا قبيل خصم يومين من راتبة وبعد

فاصل من التوبيخ كانت تبقيية فى السيارة لا يغادرها حتى الى دورة المياة !!!!.

كان ينتابه شعور بالشفقة على هذه السيارة ويشعر كان رابطا ما يربطه بها يشعر الرجل انها مقهورة مثلة .

نعم هذه السيارة الحكومية التى امر الرجل بازالة كل "الدلايات " "والدبابيب " "والملصقات " التى وضعها المدير

السابق حتى هذه الفواحة التى كانت تعطر السيارة ازالها !!!.

قالها صريحة للسائق : " اسمع يا--- تشيل كل الحاجات السخيفة دى " !!!

لقد ازالها السائق فعلا !!! فلم يكن يعرف او يتصور ان هذه " الحاجات السخيفة" يمكن ان تشمل فواحة العطر – او

المسبحة المعلقة خلف المرآة ولاعبة المناديل حمراء اللون , ولاخطر على باله ان يكون من ضمن هذه السخافات

الميدالية التى اضافها الرجل لمفاتيح السيارة .والتى كانت على شكل كرة !!!

كان الرجل يحكم فى مملكة !!! . يعرف بعض الناس فى الشركة انه ينتمى بصلة القرابة لاحد كبار رجال الدولة .

يعلمون الان ان شكواهم لن تجدى نفعا .فسكتوا على مضض ,

كان العمل يسير مستقيما متصلا منضبطا كالساعة روتينيا كالالة وكانت الارقام تقول ان الانتاج يزيد ! او هكذا بدت

الامور والارقام فى الدفاتر لا تكذب فعليها الاختام والتوقيعات !! وليس لاي احد كان ان يشكك فيها !!!

ومرت الايام كما لايمكن لشيء ان يتغير وكان الامس هو اليوم وغدا هو الامس ,, جمعهم فى نهاية يوم عمل شاق والقى على مسامعهم خطبة عصماء عن العطاء .. والاخاءوالولاء. !!! وكلمة طويلة عن الواجب والفرص. والفرق بين الحب والمحبة. والحببة التى تصنع القبة' فى جمل قوية البناء , منمقة , محكومة الوزن والسجع . ثم اقترح عليهم ان يعملوا ساعة اضافية مجانا !!!

وحدثهم بعدها عن شعوب الدنيا , ورحلاته فى الخارج. وبعد ساعة بالتمام والكمال خرجوا من الشركة ولايقوى احدهم على النظر فى عيني الاخر فقد وافقوا جميعا !!!!,كانوا يعلمون ان بعضهم صار عينا على البعض .فقد شهدوا باعينهم قرارة بنقل واحد من زملائهم الى قسم اخر كنوع من العقاب .لانه قال يوما ان العمل كان افضل فيما مضى .

وحين جئت لجنة من لجان التفتيش على كفاءة وسير العمل بالشركة, تعجبوا حين منح عددا منهم اجازة !!!, واستبدلهم باخرين يعلم الله من اين اتى بهم كانوا جميعا فى ابهى صورة بملابس السهرة !!! وجد هؤلاء وجوها غريبة تجلس على مكاتب زملائهم ولم يمض طويلا حتى ابلغوا ان ترقية مصحوبة بزيادة فى الراتب والميزات قد حصل عليها الرجل نتيجة لهذ الزيارة .

مرشهر ثلاثون يوما بالتمام والكمال عمل فية فى ناد ليلي او قل ملهى ليلي او "كبارية" ان شئت . العمل الوحيد الذى وجدة ليستطيع ان يكمل مصاريف البيت وهناك راه

مر شهر اصبح ساعيا للمدير العام كان ساعية بالنهار يحمل له القهوة السادة

وساقية بالليل يحمل له الكاس !!!

حين نظر فى ساعته وهو فى الطريق الى عملة كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة وكان يسير بهدوء الى الشركة لايسرع الخطى وفي عينية تلك النظرة ودخل من الباب على مهل ليجد السائق متكئا الى السيارة كأنه مقيد اليها ...كان الرجل يحدق فية بذهول فبادرة بابتسامة ساخرة صباح الفل!!

زكريا الشافعى الاسكندرية فى 8 - 2 - 2016

حكاية جحا -

من منا لا يريد ان يعود ذلك الطفل الذى تنظر امه فى عينيه فتعرف مايشغله؟! . نود ان نعود اطفالا فى احضان امهاتنا. لحظات نرتاح فيها من كبر مشاكلنا وثقل مسؤولياتنا.. نود ان نعود اطفالا ولو للحظات .. نحيا فيها لحظة ان كانت ضحكاتنا تسع صدورنا وقلوبنا , وتملا الدنيا صخبا وسعادة , حين كنا ننام وعلى وجوهنا بسمه ونصحو وعلى شفاهنا اثار ضحكات الامس . ياالله لكم مرت السنون سراعا ! خط الشيب فى الرؤوس خطوط سميكة , وثقافت الخطوات التى طالما كانت لاتكاد تلامس الارض . كنا نعدو ولانمشى , ونعب من اللعب حتى لاندع منه شيئا , ونشبع مرحا حتى كأننا لانبقى لغيرنا منه شيئا .

انتسل هاربا من صخب ابنائى الثلاثة وزعيق امهم فيهم , ومن لقب رب الاسرة وكبيرها واصعد الى شقة امى .. اعود طفلا هكذا فى نظر امى.. صغيرا رغم الشيب الذى خط راسى . وزوجة قاربنا ان نكمل عقدين من العمر سويا , وعدد من الابناء فى مقتبل العمر .

تبتسم وهى تقول : فىن العيال .

- يامى ... ده انا هربان منهم !!!

-

احكى لامى اننى فى عملى فعلت كذا... فلم يعجب الناس.. وفعلت كذا فلم يعجبهم ايضا.. الناس يامى لايعجبها اى شىء ضحكت امى هذه الضحكة الودودة الطيبة وتبسمت هاتان العينين اللتان لم تستطيع تغاضين السنين ان تخفى بريق الرضا فيها ...

كان ردها بان اقتربت منى وشارت بيدها ان اقترب.. ثم ربتت على المقعد بجوارها " تعال اقعد هنا"

" تعرف جحا .. ؟ " وراحت تحكى لى

كانت الحدوتة وا هذه الحكاية هى الرد على شكواى !

" وعدت بالسنين طفلا فى حجر امه يسمع حدوتة قبل النوم

- " عارف ياواد قصة جحا والحلة...؟ "

- "ايوه يامى عارفها ؟ -

ضحكت وكانها لم تسمعنى ...

- " اسمع .. حاقولها لك "

ضحكت .. ورحت اسمع بعد ان صليت على النبى مرة ومرات وزدتة صلاة

- " جحا استلف من جارة حلة ليطبخ فيها .وبعد يومين رجعتها له ومعاها حلة تانية صغيرة؟؟ (هه صليت على النبى) " تعجب الرجل وسأل جحا فقال له جحا : - " الحلة ولدت؟! "

" وطبعا كلها عقاب (يعنى بقية) نهار... وكانت البلد كلها عرفت الحكاية.. فراح اهل البلدة يرسلون حللهم ومواعينهم الى بيت جحا..... وممر يوم.. واثنان.. واسبوع ولاحس ولاخبر!! . . .

_ وراحوا يسألون جحا - " اين حللنا يا جحا ؟ " " اين مواعيننا؟ "

كان رد جحا لهم جميعا "جات تولد ماتت!" ضحكت امى هذه الضحكة التى كنت قد سمعتها دوما كلما حكيت لى هذه القصة

- "المهم غضب الناس من جحا وراحوا للقاضى يشتكون الية وطبعا القاضى حكم بالحقائق والادلة.... وحق الناس لازم يرجع اصر جحا واصر القاضى فوضعه فى جوال ليلقوه بعد صلاة الجمعة فى النهر" هكذا القصة .. لاتسالنى ارجوك .. فاننا لم اسال ابدا !!! " .

وعادت امى تكمل بعد لحظة استغفار وبعد ان فركت المسبحة فى يدها ووضعتها جانبا لتضعها على كتفى بعد ان تمددت فى الكرسي

مر راح بغنمة وخرافه بجحا فسمع جحا نغاء الخراف فصاح باعلى صوته " لا لا .. عليا الطلاق مانا متجوزها

" عدت طفلا فى سريره فى احد ليالى الشتاء فى بيتنا القديم تدثرنى امى ببطانية ثقيلة تدفئنى بقربها وضمه ذراعها وتحكم وضع الغطاء حولى ... "

راح جحا يهدر بصوته من داخل الجوال الخيش "عليا الطلاق مانا متجوزها.... "

الغريب اننى فى كل مرة كان يغلبنى النوم فلا اسمع بقية الحكاية..... ترى ماذا حدث بعد ذلك.... تذكرت اننى فى كل هذه المرات التى حكيت لى امى فيها القصة لم اكملها....!!! وكنت تقريبا لا اعرف نهايتها.. تبسمت ... هذه المرة ساعرف نهايتها ...

توقفت امى قليلا وكانها راحت تسترجع القصة معى " قوم ايه ... جحا لما سمع ان فية راجل معاه غنم ومعيز معدى جنبه ... هه "صليت على النبى؟!

لا ادري كم مر من الوقت الا اننى انتبهت على صوت امى : انت ياواد .. ! انت نمت ؟ قوم ... قوم روح نام فى بيتك

- هه ! ايه ده ... هو انا نمت ولا اية ؟

ضحكت امى ... وهى تربت على كتفى قوم ... قوم .

ياااه بكره عندى يوم عمل طويل ..هه تصبخوا على خير.. قبلت امى .. واحتضنتها ..والتقطت مفاتيحي وتلفونى لكنى تذكرت شيئا عند الباب فالتفت .

- الا بالحق.. هو جحا عمل اية بعد كده ؟

- تبسمت امى وقالت لى " روح نام واتغطى كويس الدنيا برد اليومين دول" .

فعلا كان تيارا باردا من الهواء عند باب الشقة.. رفعت ياقة الجاكيت فتحت الباب وخرجت فى البرد .

ربما اعرف غدا ما فعل جحا!؟

زكريا الشافعى

الاسكندرية مارس 2018

"الرجل الذى فقد عقله"

حين قالوا لى ان "عز" قد فقد عقله لم اصدق . لعلى اعتبرتها نكتة بايخة , او دعابة ثقيلة . ف "عزت "او" عز " كما كنا ندعوه كان شخصية ذات حضور وله كاريزما طاغية . ولم يك متطرفا فى حبة او كراهيته لشى ما . نعم كان يحب كرة القدم , بل قل يعشقها ويجديها حد الاحتراف . لكن مادخل كرة القدم بالجنون !! كان امهرنا فى كرة القدم , كنا نتحاشى اللعب فى الفريق الذى لايلعب هو فية . كان بارعا لدرجة ان احدنا كان يقول ان الكرة مربوطة بقدمه . فقد كان يمرق بها من بيننا كالهواء ... "عز" فى احدى المباريات فى استاد الجامعة وبعد ان مر من كل من قابلة بالكره المربوطة فى قدمية حتى من حارس المرمى الذى اندفع خارج مرماه بعيدا حين كانت الكره قد تخطت خط المرمى انشقت الارض عن احدنا ليخرجها خارج المرمى ... يشير عز بيده وهو يضحك جون نندفع نحوه لا لا مش جون ... يضحك ملء فمة وقد حاصرناه " طب والله العظيم جون " ثم وهو يلتفت الى ... " طب انت حقانى ... جون ولا مش جون ..."

. تشعر ان الاسم على مسمى فان اول مايلفت النظر فية هذا الوجه المستدير الصبوح المبتسم . وهذه الضحكة المججلة . وهذا الاقبال على الحياة !

لقد اكد لى اكثر من صديق ان عز قد فقد عقله فداخلى الشك فعلا ... قال احد الاصدقاء , اصدقاء ايام المرح والصبيا الجميل , انه يتمشى غالبا ويجلس فى حديقة السكة الحديد ...!! وقال اخر انه راه اكثر من مرة عند دكان ابوصابر الذى اصبح عطارة كبيرة بنفس الاسم ياكل شيئا ما ويبيده سيجارة! ... تمر الايام وتكر مليئة بالاحداث ولعل ضغط العمل ورتابة الايام قد انسوى الموضوع .. لكن حدث ان مررت فى يوم بحديقة السكة الحديد مرورا عابرا . لم يك فى الحسبان فقد ساقنتى الاقدار الى هناك فى بعض شؤنى . فوجدت هذا الوجه الذى لايمكن ان تمحوه الايام من الذاكرة . وجدته واقفا يتفحص الوجوه المارة فى هدوء . وجهه هو الشىء الوحيد الذى يمكن لمن يعرفه حقا ان يميزه . فلم تك ملابسة ولا جسدة المترهل ولا الحذاء المنبجج الذى يضعه فى قدمية ينتمى الى "عز" الذى عرفناه . تبيست مفاصلى وانكشيت عضلات قدمى وتوقفت . يالهى !! انه هو لقد رانى هو ايضا! ..

-عز !! اهذا انت !!!؟

-معاك سجاير ؟

-انت مش عارفنى !!!؟

-عارفك – انت مبتشربش سجاير ؟

-اخرجت من جيبى مبلغا ماليا .. خد اشترى سجاير...

-كنت اشك انه يعرفنى فكررت السؤال ... عز انت عارف انا مين ؟

-نظر الى طويلا ... ثم قال استنى يا.... حاجيب سجاير

احترت هل انتظر ام اذهب .. فما ادراى انه سوف يعود . لكن شيئا ما منعنى من التحرك , على الاقل بعد ان رأيتة قادما ويبيده سيجارة مشتعلة .

مر بنا اناس راحوا ينظرون الينا فى دهشة نعم كنا نثير الدهشة حقا !! ولانى كنت نفسى اشعر بغرابة الموقف . فلم انتبة لهم كثيرا

لقد كان هو من تكلمواستمعت له.... قال كلاما كثيرا... كنت اجد صعوبة فى تفسير معنى بعض بل اكثر ماقال

لكن شيئاً ما لا اعرف ماهو.. كان يغضبة . فقد راح فجأة يسب ويشتم . وفجأة اصطدمت سيارتان
فى الطريق , اشتبك السائقان بالايدي , وتعالى الشتائم . مرق "عز" كالسهم من امامى وباعلى صوتة
وقف بين السائقين وراح يصرخ : "حاسب ... حاسب "..." اسكت " لم نفسك انت وهو ياولاد
الكلب "... وفجأة راح يخلع ملابسة حتى اصبح كما ولدته امه !. توقف العراك !!! وصمت الناس .. !!
وراح بعضهم فى نوبة ضحك مجنون.. ! وانفض الناس من حول السيارتين.. انسحب السائقان فى
هدوء تتبعهما كلمات عز : " هه ... اقلع لكم ملط ياولاد الكلب امشوا.... امشوا.... ياكلاب "
والواقع اننى اختفيت انا الاخر وجدت ميكروباس ركبته على عجلضحكت حتى دمعت عيناي .
نظر الى الجالس بجوارى شذراثم ماتت الضحكات على فمى فقط حين طافت الذكرى بخيالى
.....فبكيت ثم انفجرت فى نشيج عال !!؟؟
: ياااااه يا عز لا اعرف شيئاً اخر كنت اقوله الا هذه الكلمة : يااااه يا عز

.....
راح الرجل الجالس الى جوارى يضرب كفا بكف وهو يقول لاحول ولاقوه الا بالله !! اللهم احفظنا
... ثم ينظر حوله فى قلق ...
وحين وجد ان المقعد الامامى قد خلا هتف فى السائق : خدى جنبك ياابنى الله يحفظك...
زكريا الشافعى
الاسكندرية ابريل 2019

كلام فى الحب

غادرت القرية لأول مرة بعد ان انهيت دراستى فى الثانوية, وذهبت الى القاهرة ذهبت الى المدينة فقد راي ابي ان التحق بالجامعة فى القاهرة فى مصر .كان ابي رحمة الله عليه رجلا فاضلا محبوبا من الجميع كان يعمل موظفا فى الجمعية الزراعية وكانت امنية حياته ان يعلم ابناة الستة . يحب العلم والعلماء كان يجول بعينية بيننا يبحث عن سيبص يوما امنية ويحقق مرادة وقررت ان احقق امنية ابي قررت ان ارد لة بعض حقة على سافرت لام الدنيا سافرت الى المدينة وتركت القرية .
بكت امى طول الليل.... كانت تخاف على ابنها من المدينة...وقتن المدينة... ونساء المدينة !!

"يقولوا الحريم بتمشى كاشفة شعرها " قالتها امى وقد ارتسمت الدهشة على ملامحها الطيبة الوداعة بل اسرعت يدها لتطمئن على وجود طرحتها فوق راسها ..
ضحك ابي وهو يقول لها " اومال لو تعرفى بيلبسوا ايببية ؟"
دقت صدرها ببدها وهى تقول " بيلبسوا اية ؟"

ضحك ابي ولم يجب

اخذنى ابي لاعيش عند احد ابنا عمومتنا الذى يعيش فى ام الدنيا منذ سنين .
كانت الجامعة لاتبعد كثيرا عن البيت فقد كان بامكانى ان امشى من الجامعة حتى بيت عمى . كنت منبهرًا بكل هذا التنوع وهذا الزحام وهذه الدنيا الجديدة —
ورحلت عن قرينتنا الصغيرة الوداعة الهادئة التى ترتوى من النيل مباشرة .
رحلت عن القرية ورحل معى كل زملاء الدراسة تقريبا . كنا جيلا متفردا . خرجنا سويا يدفعنا الامل والعلم . وكنا نعود فى الاجازات تجمعنا كعودة الطيور المهاجرة كان فينا من يدرس الطب والهندسة والادب ومن يدرس فى الازهر.

حين كنا ناخذ اجازة الدراسة نهرع عائدين الى قرينتنا كعودتنا الى اوطاننا ومع كل شباب جيلى الذى خرجنا سويا كنا كاننا على موعد . كان هؤلاء هم من تجمعنا ذكريات الطفولة سويا واولئ سننى صبانا . ثلاث اماكن كانت هى جمعنا ولقائنا .ساحة الملعب , قهوة الديربى , دار الشيخ رضوان .
كنا نلتقى فى ساحة الملعب خلف الجرن القديم . حين كنا نلعب بجد حتى كأننا نؤدى عملا . وقد نغرق فى الهزر حتى لا نكاد نلعب

او عند الديربى او ماسميناها مجازا قهوة... فقد كانت لاتعدو تعريشة من قش وكراسى من جريد النخل ولكنها كانت تحظى باطلالة رائعة على صفحة ماء النيل الوداع . كان روادها قليلون ولايعرفها الكثير لذلك لم تتغير ملامحها وظلت كصفحة ماء النيل هادئة تستعصى على التغيرات التى طالت كل شىء , مايكاد صاحب المقهى الرجل صاحب الوجه - الذى يمثل كل وجوه القرية فى طبيعتها ووداعتها وابتسامة الرضا والقناعة التى نراها فى عيني هذا الرجل الودودة - لا يكاد يرى احدنا حتى يسرع بوضع عدة كراس اعتاد ان يضعها لنا بعيدا . ثم يخبرنا ان فلان قد وصل بالامس وفلان كان هنا من قبله

كنا نجد بعضنا بشى كالحاسة الخفية . ضحك الرجل حين سالناة عن الاسم الذى يسمون به مقهاة "الديربى " فلم يكن لاسمة ولالقبه الديربى على الاطلاق وكانه تخرج ان نسمع منه قصة قد تبدو لنا طويلة وقد نمل من سردها قال اسالوا الشيخ رضوان ثم يبتعد ليحضر لنا الشاى او الكركدية ثم احجار الدومينو لعبتنا وتسليتنا المفضلة بصخبها ونحن متعلقين حول اللاعبين !!

عند الشيخ رضوان شيخنا واستاذنا الذى ربانا صغارا وعلما كل شىء كنا نجتمع لنسمع ونتعلم . كنا نعجب لغزارة علم الرجل وفطنته . نعم كنا نذهب للمدرسة فى نجع حمادى . لكن الجلوس الية كان شيئا اخر . كنا نتعلق حول شيخنا رضوان ونحن بعد صغارا . كان حديثه يصل الى قلوبنا ويملا وجدانا وينقلنا الى افق ارحب واوسع من حدود قريتنا .

كان شيخنا قد كبر سنة وهو منذ ان وعى الناس فى قريتنا يخطب الجمعة ويؤم الناس . وحين كبر سنة لم تفتر همته ولا تغيرت نبرة صوت الشباب فى حنجرته . كبر شيخنا حتى لم يعد تفارقة عصى يتسند اليها .

كان يحفظنا عن ظهر قلب التفت ذلت يوم وقد قام يؤم الناس للصلاة فوجد صديقنا الشيخ عبد الله الذى يدرس فى الازهر وكنا قد لقبناه بلقب الشيخ حتى صار يلقب بالشيخ عبد الله فامسك به من ذراعة وقال له صل بالناس وراح كانما يخاطبنا جميعا فية " اذا ما انتم تصلون بالناس فمن ؟ " فى احدى المرات صمت الشيخ رضوان طويلا وهو ينظر الينا جميعا ويجول بعينية الكليلتين حتى وقعتا على الشيخ عبد الله

" اسمع يا شيخ عبد الله ... انت تخطب الجمعة الجاية "

الشيخ عبد الله كان احفظنا واسعدنا ذاكرة حفظ القران كلة على يد الشيخ رضوان

الجمعة فى قريتنا عيد !! ا

واسترسل الشيخ عبد الله فى سرد سيرة احدى غزوات النبى - قال النبى مرتين ولم يقل صلى الله عليه وسلم وزام الشيخ رضوان وتململ فى جلسته ثم هب فى الثالثة واقفا تكاد لاتحملة قدماه وقد اشرف بوجهة على الواقف على المنبر

والله ياواد ياشيخ عبد الله... اذا ماصليت على سيدك النبى لاطلع لك " وعصاه فى يده لم يستطع بعضنا ان يخفى ابتسامته كما بخفى دهشته اما الشيخ عبد الله فقد راح يردد ... اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

وضج المسجد بالصلاة على النبى حتى اذا فرغ من خطبته ونزل من على المنبر راح يقبل راس الشيخ وعينا الرجل الكليلتان ترمقة بنظرة عتاب حنونة وغضبة اب ومعلم وحين قرأ الشيخ عبد الله بصوتة العذب "محمد رسول الله والذين معه سمعت نهنة بكاء

مرت بنا سنوات الجامعة و سنى العمل فى المدينة وقد تلقينا العلم وجلسنا الى معلمين واساتذه وكبرنا حملتنا السيارات الى القرية اصبح بعضنا موظفا وطبيبا ومهندسا . لبس بعضنا البدلة الميرى المرصعة بالنجوم . كبرنا لكننا مازلنا الصبية الصغار عند شيخنا نتلقى اول دروس العلم على يديه وكنا نستعيد طفولتنا عنده تعود بنا السنون الراحلة من اعمارنا نرجع ببسمة الصغار وعبث الفتیان كلنا الواد فلان

ابن فلان

كنا ونحن صغار نخشى فراسته مما نعرف انفسنا .. كنا بعد صغارا و كان كانما يعرفنا ويستشرف المستقبل فينا كان الشيخ عبد الله مازال ابن عشر سنين حين ناداه يوما ياالشيخ عبد الله وحين نظر يوما في عين صالح ابن حسين القطان وتبسم " اللى على على .. اوعى تنسى بلدك ياواد اما تكبر !!!" كنا نضحك ببراءة الاطفال فلما كبرنا تذكرناها وفهمناها حين عين صالح ولد حسين القطان فى وزارة الخارجية وندرت زيارته لقرية !! كنا نعرف انه صاحب فراسه وروحانية .

واخذتنا المدينة بصخبها .جذبنا ألها العملاقة . اصبحنا ترسا فى هذه الالة التى لاتتوقف ولا حتى تهدا قليلا وتباعدت زيارتى للقرية وجمعتنى بالشيخ عبد الله صدفة عجيبة وكان قد صار حديث المدينة لفصاحتها وعلمة كان كلانا يجهز اوراقه للسفر . كنت ساسافر الى عمل بالسعودية وكان هو لاداء العمرة .

وتواصلنا , وفى زيارة للمدينة المنورة اجتمع خمسة منا الدكتور حسام الذى يعمل بالمدينة فى احد مستشفياتها والمهندس عبد الرحمن فى مشروع توسعة الحرم جاء الينا بسيارة وعبود المدرس باحدى الجامعات

هناك وقفنا عند مقام النبى نكفكف الدمع حين راح الشيخ عبد الله يردد السلام عليك ايها النبى ...

" اللهم صل على محمد وعلى ال محمد . " " اللهم صل على محمد وعلى ال محمد "

... الله يرحمك ياشيخ رضوان

يوم ان عدنا فى الاجازة كنا جميعا فى القرية كالطيور المهاجرة عادت الى اوطانها –

قال شيخنا ومازلنا بعد صغار وقد فرغ من درسه ذات يوم " سافروا .. اياكم ان تنسوا هنا "

" الشجرة جذرها فى ارضها .. وميتها من ساقيتها "

ثم يستشهد بأية " ان الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد "

نعم سافرنا جميعا وعدنا لنبحث عما بقى من صبانا فى ثلاثة اماكن .بقى فيها ذكرى بعيدة من ايامنا التى هجرناها ومن بعيد فى طريقنا لقهوة الديرى اسرع الرجل العجوز الجالس على كرسية فى ركن بعيد عن القهوة يامر صبيانة ان يحضروا كراسى للالندية فى هذا المكان وتكاد عيناة ترفض فرحا برؤيتنا .

اول مايلقاك من معالم بلدتنا اليوم مبنى فخم لاتكاد ترى مثيلا له الا فى المدن هو مستوصف الدكتور حسام الخيرى –وقد اتسع المسجد بعد ان اشترى الناس الدور المحيطة به فادخلوها فى عمارته . على المسجد وعلى المستوصف لافتة كبيرة تضىء ليلا بالنيون : اللهم صل على محمد وعلى ال محمد – مستوصف الرضوان

– ساحة الرضوان

– جامع الرضوان

الله يرحمك ياشيخ رضوان

الاسكندرية فى 21 يناير 2017

زكريا الشافعى

كنا نقول (الشيخ)

كنا نقول احيانا انه " جاء مع المطر " ونضحك ... اي نعم فى شتواية من تلك الشتوايات التى هدمت الشيطان وقلعت البيبان!!!
. وقال بعض النسوة انه جاء مع فيض ماء النيل فى صيف الفيضان. قالتها النسوة وهن يخبزن العيش البتاو. وتعالن ضحكتهن حتى نهتهن الجدة " مريم" بعد ان اشبعتهن شتيمة, ضحكوا لها اشد من ضحكهم على كلمة سكيئة امرأة عبد الجواد .
حين اعيتنا كل السبل لتتذكر متى جاء" الشلبى " هذا الى بلدتنا كنا نضحك ونقول جاء مع المطر !!
". الشلبى " او الشيخ الشلبى. كان الرجل يقيم بجامع القرية وحين بنى عشته بجواره وسع اهل البلدة له فيها حتى صارت بيتا – اصبح بيت الرجل لا يخلو من بضع زوار يأتسون بحديثه .حتى النساء وجدن سيلا الية , يسألنه فى بعض شؤونهن او كالعهد بهن يسألنه الدعاء. فالرجل قالوا انه " مبارك " وله كرامات !!!
نعم قلن ذلك!

. اتسعت الدار حتى صارت اكبر من دار الحاج "رفيق", الرجل الوحيد فى البلدة الذى حج الى بيت الله, بل قل ايضا الوحيد الذى عاش بعض ايام عمرة فى البندر, ياتى البلدة من حين لآخر . و بعد ان تزوج من زوجته الثانية لم يعد يات كثيرا الى القرية :نجع اوس ."

– " نجع اوس " بلدة صغيرة فى اواسط صعيد مصر . القرية الصغيرة عالم بذاته !!

. هى عالم فريد مستقل ويبدو ان الدنيا كلها حين تجاهلته قرر ان يتجاهلها هو الاخر!

. حتى الاسم كان غريبا على الاذن . " نجع اوس " . لاتدرى اصل هذا الاسم . سقط الاسم من ذاكرة العربى والفرعونى وكل اللغات الذين مرت بمصر المحروسة , نجع اوس يمكنك ان تدور على بيوتها فى دقائق .بلدة صغيرة محدودة المعالم . بسيطة فيها الحياة حتى تظن انها لاتتنمى لهذا العصر وانها من عصر مضى القرية هى متحفه وشاهده. لم يكن الاسم على اية خريطة اوحتى زمام , بل كنا نتسائل احيانا ان كان احد من المسؤولين فى البندر البعيد يعلم بوجودها اصلا .

, الناس فيها والزرع والبهايم شركاء فى الحياة على هذه البقعة التى تنازع النيل الثائر والصحراء الفتية فى رسم حدودها . تطل باستحياء على النيل من جرف صخر رملى مازال يقف صامدا امام جبروت النيل فى قسوة فيضانه ؟
الحياة التى وفرتها قطعة الارض الوحيدة الصالحة للزراعة المحصورة بين ارض صخرية وعرة وبين هذه التبة العالية التى تطل على النيل والتى اوى اليها كل سكان هذا القرية .

لقد قرر الواقع ان تعمل عائلة " سوقى " بالصيد فهذه البضع مراكب الصغيرة الراقدة فى سكون فى الخوص اسفل التبة لولاد سوقى . يهبط عيال سوقى كل يومين من اعلى التبة ليجوبوا بقواربهم الصغيرة صفحة النيل بمحاذاة ضفتة وعند هذه الجزيرة الصغيرة التى امتدت بطول القرية . الصيد على قدر الحاجة يكتفون بملء مقطف واحد او اثنين فهذا يكفى .

فى البلدة بضع عنزات لايمكنك ان تعرف لمن ولا من يطعمها ولاحتى من يحلب اثنائها كانها مشاع للكل وملك للجميع .
بقرة " يامنة" بنت " حسين المغربى" -الرجل الذى جاوز المئة عام- تحلبها مرتين فى اليوم توزع معظمه على جارائها واقاربها. ترسل ود ولداها بدوى "هات ياواد من خالتك الكوز " يطير الفتى بجلبابة القصير وقدمية العاريتين . يدلف الى الدار من الباب الذى لايعلق الا ليلا

– جاموسة الخالة " فاطمة " كانت مريضة الاسبوع الماضى. الجدة " مريم " بخرتها وقرأت عليها التعويذة"ياعين ياعينية.... ياخاينة يارديبة.... اطلعى بقولة لالة الا الله " الجدة مريم بركة..... تعزيمتها فيها الشفاء!!!!!!.....

زيجة "عثمان" ود " الدبودى" على " فتحية" بنت عمه بعد الموسم الجاى موسم عاشوراء

باقى عشر ايام. مر وقت طويل منذ اخر جوازة فى البلد.. الناس كلها تنتظر هذا اليوم. سيأتى الشيخ "محمود" الازهرى من اسبوط ليقرأ القرآن بالنهار فى الساحة فى قلب القرية.

يذكر الناس الشيخ محمود صوت رائع كان اهل البلدة يطربون ايما اطراب . كانوا على بساطتهم يدركون جلال وعظم الايات.
وقف "المجدوب" -لايقولون عنة مجنون- فى وسط الناس وصاح " الله الله.... ياشيخ محمود... الف الف ولى... على جبل قاف يسمعك " . صاح اخر صلوا على النبى , فهمهم بها الجميع " اللهم صل وسلم وبارك عليه". وصمت الناس . سيأكل الناس من لحم شاب الجاموس التى اشترها ابو العريس وفى الليل سيسهر الشباب يغنون ويمرحون.

الواد ود "محمود النحلى" صوته جميل. حلوة هى الاغنيات اللى غناها فى سهراية فرح" شهاب" ود صالح. الطلبة والكف كانت كل موسيقاهم " ياابيض حل اللتمة.. خليت الدنيا عممة... وقلة عينو شتمة وزغلل عينا "..... يجاوبه الشباب بحماس وهم يدقون على اكفهم" دهبوااا دهبوا زغلل عينا " . وزغرودة طوييييلة تحيى هذا المقطع هى زغرودة " ام لوفنا" يعرفها الجميع تثير الزغاريد حمية الغناء وتلتهب الاكف مع ترديد " دهبواا دهبوا ... زغلل عينا دهبوا " .

قبل فرحة اهل البلد بود الدبودى كانت فرحتهم باتمام انشاء الجامع الجديد جعلوا له سقفا ودهنوا حوائطه بالجير الابيض

قام الشلبى فى الناس خطيبا فانتى وحمد وعظم وشكر وكبر وهلل. اصبح مسجد القرية هو اجمل بناء تقع عليه العين وفى بلدة كهذه ليس فيها جديد فقد صار بناء المسجد وفرح ود الدبودى هو مثار كل حديث وهو حديث لا يخلو من تكرار وقيل وقال.

– قال الواد ود "محمود ابوحسين" وهو يغمز بعينه ويبتسم بخبث "الشيخ الشلبى هاص اكل وزفر فى ايام بناية الجامع" !

تندروا على القفطان الجديد . كان ضيقا يبين منه كرش كبير ...الفروجة التى بعتهاله "ام لوفنا" علم بها كل من بالقريه ..نهرهم الخال " " ضوى "النجار الوحيد فى القرية .حتى انه رفع العصا فى وجوههم فطار بعضهم الى بيته ووقف يصيح "ده بركتنا راجل عالم وعارف كلام ربنا ... اخص عليكم ياواد الابالسة... يابن المركوب منك لية قوم ياواد منك لية"

حين اختلف عثمان ود الدميرى مع ود عمه سليم ونسيبة في نفس الوقت راحوا للشلبى الذى اصبح الجامع داره..... وحين اقسام ابوالحجاج على زوجته التحفت في عيانتها السوداء الثقيلة المصنوعة من صوف الماشية الخشن واخذت امها وراحت للشلبى ! . حكم الرجل.....! اصبحت حراما على زوجها . صرخت مرت ابوالحجاج.... لطمت خديها.. ووضعت التراب على راسها !!!

لم يستطع صالح الديوانى ان يمنع ولده الذى حمل عصاة الغليظة وانفلت من بين يديه وهو يصرخ والله لاضرربة وطار في دروب البلده الضيقة سقط الرجل الكبير على باب الدار وهو يصيح بصوت يائس " ياوادة ود عمك " الحقوه ليقتل ود عمه الحقوة ياناس ..يامسلمين".

صار لزوجة " ابوشهاب" اربع ليالى وهى حردانة فى بيت ابوها. كيف يضربها زوجها. حلف ابوها لن تخرج من دارة الا " اما ييجى... ويبوس راس كل اللى فى الدار. بنت ابوسليم ماتتضربش" - قال الشيخ "ربنا يقول فى كتابة واضربوهن...". استمعوا للشيخ وهو يقول الاية ولم ينطق احد بكلمة حين قال "الشلبى" انه لايرى بأسا فقد ضرب لاندرى من... وهو احد ائمة..... كذا لانذكر ... وحين اتبعت اسمة برضى الله عنه. وجم الناس ثم قاموا من عنده كاشباح الظهر !!! فى هذه الليلة وماتلاها سهرت مصابيح حزينة فى عدة دور فى البلدة الطيبة !! فقد ضرب عبد الجواد امرأته . علم الجميع بذلك فالحيط فى الحيط وضرب ود "حليمة الدبودية" مرته القديمة اما ود "الجميلى" فقد صرخت امراته حتى وافاها جيرانها فى صحن الدار وافلتوها من يده " وحين لامته اخته صاح فى وجهها : " تستاهل الضرب والاكسر راسها....ربنا قال... واضربوهن ... اهه " اهه !!! ربنا قال كده

تلمس الشلبى ذات يوم خطاة الى بيت الرزايقة جنوب البلد .الشيخ راح... الشيخ جاء.. بعد يومين جاء جمل محمل بحصير جديد لفرش المسجد.
الرزايقة ؟ وفرش المسجد !!
عائلة الرزايقة تسكن بعيدا عن البلدة .بعض حديث الناس عنهم دوما يكون همسا .
معهم الاموال لايدرى احد لهم تجارة او عمل يتكسبون منه . يقال انهم يستاجرونهم للاخذ بالنار.
كانهم اختاروا ان يكونوا خارج البلدة .وجم الناس حين علموا ان حصير المسجد من مال الرزايقة .كيف ياشيخ شلبى ؟ قال الرجل كلاما لم يبد ان احدا فهمه تماما . ولكن كان فية "قال الله... وكان فية" قال الرسول "...فانصرف الناس فى حيرة وحين صلوا الجمعة على الحصير الجديد , مسح ابوسليم على الحصير بيده , ثم نددت من شفوية صوت ممصصة " هيبيبي حصير تمام !!"

تأجل العرس.
فشل الصلح بين ناس " سليم" وعيلة "عبد ربه" حكم الشلبى بقلمين على الوجه لود " ابو سليم" قصاد قلم ود "عبد ربه" الذى لفحة اياة فى السوق قدام الناس .ثار ود "عبد ربه" رفض وسب وشتم.... وصفة الشلبى بالمارق ... وأوجب عليه الحد!!!!
كاد الناس يقتتلون..... ارتفعت العصى..... ولولا صراخ فى غرب البلد هرع الناس الية لسالت الدماء!!!!
دار فى غرب البلدة تحترق !!!
وقفت عيلة "عبد ربه" وقد انصرف الناس عنها تطفى النار التى اشتعلت فى احدى دورها وفى اليوم التالى كانت النار قد امسكت فى برج حمام فى دار "صالح ابو سليم" صرخت امراة "عملوها ناس عبد ربه...!!"

.....
لاول مرة منذ سنين طويلة لاينعقد السوق يوم الاثنين كما اعتاد الناس!
حتى حين اقتحمت مياة السيل القرية ذات مرة اقام الناس السوق غرب البلد بدل الساحة .اشترى احد الرزايقة دارا بجوار دار الشيخ الشلبى .اشترى دار "حماد المرزوقى" الذى رحل الى اسيوط وترك البلدة !!!
."حسين" ايضا .. ساب دارة وراح نجع القادوسية عند اهل مرتة. بقرة يامنة تتعق, اللبن فى ضرعها لم يلعب قالت بحسرة : " لمين اودية ماقدرش ابعت الواد فى حنة !!!".
راحو للشيخ " ياشيخ شلبى.....!" رمقهم بنظرة غاضبة وعزبل ... وحوقل.... ثم ضم عليه جلبابة واسرع للمسجد...!
دروب القرية خالية , اعلق الناس دروهم, حتى العنزات السارحات فى دروب القرية اختفين . حين اذن الشلبى لصلاة الظهر كانت ريح ساخنة قادمة من الصحراء تسفع الشوارع وتعوى على الابواب, تسلل التراب الى الحلوق .
فى هذا اليوم حين كان الشلبى يتغذى فى دار الرزايقة الملاصقة لدارة , دوت طلقة مزقت انين الريح المريب .
سقط عثمان ود الدبودى زينة شباب نجع اوس بعد ان تاجل عرسة مرتين !!!!

زكريا

الاسكندرية فى 12-2014-9

لقاء

نظر اليها مليا فى صمت جليل وهى ترتشف فنجان القهوة على وقع اغنية شهيرة لفيروز -

" شط اسكندريه ياشط الهوى .. رحنا اسكندرية رمانا الهوى

هم ان يسالها سؤالا :لكنه اثر الصمت ..

جمع المكان والزمان بينهما كاشياء اخرى كثيره جمعت بينهما كانت تبدو بعيدة التصديق

انه الان يجلس الى جوارها . جمعتهما منذ قليل طاولة غذاء وحوار شيق ممتع تجعله هى بحلو حديثها ونبره صوتها الملايكية حضورا ملكيا بهيا . للطعام لذه لم يعرفها من قبل ولنسمات الهواء الطلق حضور لم يعهده فى جنبات الاماكن وفى سماوات المدينة .

العيون السمرا الوسيعة الباسمة الوديعة . الوجه الصبوح الاسمر المتقد بحمره وحرارة الجنوب . الشفاه الزاغة شوقا وانتظارا فى فم تتلالا اسنانه بياضا . فى هذا الثوب الهادىء الذى تعانق فيه الرداء الوطنى لبلدها مع موضة غربية صنعت هذا المزيج الفريد الى تميزت به دوما هذا العقد الفريد بحباته الفيروزية المنتهى عند اسفل صدر مكتنز ثائر بحبة جعران فرعونى وخرطوشة عليها كتابة مثبتة به على نحو ما ... تبسمت حين رات عيناه مثبتة على العقد . عاد بالذاكرة غاص فى سنوات بعيدة راكده ساكنة فى اعماقة .. لقد كان ذكرى جولة فى احياء الاسكندرية القديمة اعجبها قالت ان ملوك الفراعنة اعتادوا ان يضعوا نقشا اساميهم داخل خرطوش كهذا .. حين اكملوا جولتهم فى السوق كان قد عاد الى المكان مره اخرى ليستلم واحد مثله من الجواهرجى وعليه نقش اسمها بالهيروغليفية ... حينها كادت تقبله حين لم تجد كلاما ولاردا على دهشتها متى وكيف !

مروا على بيت كفاى (قسطنطين كفافيس) درسوا قصائده كفاى الشاعر اليونانى الذى عشق الاسكندرية قال يصف محبوبته الاسكندرية

فلتصغ، تلك هي بهجتك الأخيرة إلى الأصوات،
آلات الفرقة السرية المدهشة
وقل دائما، وداعا للإسكندرية التي أنت فاقدها

فى يوم تتسكع فيه برودة مارس فى جسد المدينة المطلة على البحر وتتردد سحابات لم تضع بعد حملها فتمطر حيننا وتقطر حيننا . يوم كهذا جمعهما ... مشيا سويا فى شوارع المدينة يتحديان بقلبين دافنين بروده مارس المتشبثة فى شوارع المدينة وميادينها .. صقيع عصر يوم حجبت السحب شمس يومه . فى شارع فرنسا امتد عقب التاريخ عبر دكاينه وشوارعة الجانبية ومبانيه العتيقة التى بقيت تحكى الامس الذى ذهب وبقي شاهدا على الف الف حكاية يحكيها بلا لسان ولاصوت .

. فى المنشية القديمة حكى لها حكاية عن طفولته الاولى امسكت ضحكتها بيدها واكتفت بضحكات عيونها . فى زحام سوق راتب وزنقة الستات وشارع سعد زغلول كيف سارا كل هذا الطريق كل هذا المشوار . يتذكر امثال جدته " من خفت راسه تعبت رجلية " ... يضحك فى سره وهو يضيف تعديلا للمثل ... نعم كان هو مرشدها لكنها كانت تسير بجواره قدما بقدم ويد دافنة بيد وعينان تتقدان حبا . شربا القهوة فى سفيانوبولو وشاهدا تمثال محمد على القريب اقترب مصور بكاميرته .

- " صورة يابية انت والمدام " . ضحكا سويا واسرعا ليعبرا الشارع .
توقف شريط الذكريات لحظة ...

مارس ايضا ! اهي الصدفة ؟ هذه الكافيتريا المطلة على البحر تكاد تتذوق ملح البحر على طرف لسانه .
الزجاج المحكم وقف بالمرصاد لهواء بارد يقتحم المدينة من ناحية البحر . كان الصمت عند رشقات القهوة
اجمل وابلغ من كل كلام . نظر الى كوب الماء الموضوع على المنضدة امامه وتبسم وتبسمت هي ايضا !
مدت يدها وشربت من الكوب .. مد يده وشرب كل ماتبقى من كوبها !

نظرت الى ساعتها كأنما تنبهه ان الوقت قد حان !!
فى سيارتة قاد بها الى مكان اقامتها ...

خمسة عشر عاما مرت , جمعتها الدراسة فى جامعة المدينة المفعمة حركة وتاريخا . كان الاسكندرية مدينة
ومسقط راسه طفولتة , ومرتع شبابه . فهو السكندرى الذى يعرف مدينة شبرا شبرا . وهو زعيم الشلة
وقائد صولاتها وجولاتها . معروف للجميع حتى طلبة السنوات الاقدم . كان له هذا الحضور الشجى
والكاريزما التى تجعله قريب اليك . كان يملك هذه العفوية السهلة والتلقائية البسيطة ها الحضور الغير متكلف
الذى يجعله فى لحظات يدلف الى دواخل من يعرفه ويتحدث اليه . وكانت هي وافدة من احدى الدول العربية
الشقيقة فى عينيها سحر القارة السمراء . دفنها , وحراراتها ولهيب ثورانها . شعلة نشاط وبركان افكار
تكتب الشعر والمقال فى مجلة الجامعة وتحضر النقاشات وتشارك فيها . تشعل النقاشات وتبهر الحضور
بفصاحتها وقوة بيانها . وكانت الوحيدة التى احتفظ لها فى قلبه بهذا الاعجاب الخفى والود الحقيقى . كان
يمكنه ان يكون مرحا جريئا متحررا امام الجميع الاهى . فقد كان بريق هذا النجم المتوهج يخفت فى وجودها
ويستكين , تأسره هذه العينان وهذا الصوت الاسر القوى . انه صوتها الذى يجعله فى حضرة ملكة ذات هبة
وجلال . جادلته نفسه فجادلها وحاوره عقلة فغلبه وقاوم قلبه لكن قلبه انتصر ... ادرك انه يحبها
شعور يدهسك ويدهشك ياسرك ليملكك ويستأثر بك ... لايترك لك فرصة ولا مجال للهرب لايبنى
حولك اسوار عالية او اشواكا قاتلة ... فقط ياسرك , ويحبسك ويعتقلك فيك ... لم يسبق ان احس بهذا
الشعور من قبل ... وآه من القلوب الخالية " .. ياللعجب !! لقد حافظ فى علاقة مع جميع الفتيات فى
الجامعة على المسافة التى تجعله دوما الزميل والصديق فقط لاكثر . نعم كان يحرص فى داخله على ها
التوازن العجيب . قريب من الجميع حبيب الى الكل يدخل الى اعماق اصدقائه بهذه السلاسة والبساطة والعفوية
فلايشعرون فى حديثهم اليه الا بهذا الشعور الاليف ! الزميل والصديق لاكثر ولااقل ! الاهى ...

شيئا لم يقو على التخلص منه , يتسلل الى دواخله ويوجد له مكانا ليس فيه احد غيره .

ادرك فى قراره نفسه انه سقط فى بحر العسل ! وعلمت انه يحبها

وعاشا هذا الحب شابا متدفقا ومشاعرا غضة , نقية , فياضه . كانت شاعرة تجيد الشعر حقا تتبختر فى
عباءته المخملية تنشر القصيدة على الحائط كما كانوا يسمونه وكان يمكنه ان يخط بضع ابيات ... ان يكتب
شيئا ما .. شيئا يقول بوضوح انه فى حالة عشق !!

فى احدى حفلات الاسر الطلابية وعلى وقع جيتار صديق دندنت بكلمات قالها ...
ردد الجميع معها الكوبلية :

من زمااااان ... من زماااان . قبل الاوان ..

(جبل الاوان) بلهجتها ...

كانت هي ربة الفصاحة والحضور الجميل والصوت الاسر . كانت تناديه دوما بهذه الكلمة الاثيره الى قلبه
" لورد " "

تساله . "كيفك جناب اللورد؟ ! فيرد دوما ضاحكا ... " نعم "ياساحرة الجنوب .."

لم يسالها لماذا لورد ولم تساله ابدا لماذا ساحرة الجنوب ..

نعم عاشا هذا الحلم الجميل وعرف انها قدره وانه قدرها وخططا لكل شيء . رسما الاحلام سويا حين
تنتهي من دراستها ستعود لتعمل في سفارة بلادها وستعيش في مصر ويتزوجها .

.....

حين انتهت الدراسة في السنة الاخيرة عادت لتعمل في سفرة بلادها ...عاشا الحلم الجميل الذي ظل يداعب
خيالهما واقعا اجمل واحلى عمل بكل طاقتة لتكون له وانتظرت بكل حنينها لتكون له

في اجازة رحلت لبلدها ... ترقب عودتها طال الانتظار , غابت وانقطعت السبل والابخار والطرق !! مر
عام وتبعه اعوام . وجد عملا افضل يدر عليه ربحا . سافر للخارج ومرت سنوات تزوج ... وصار
عنده ولاد .. وتزوجت هي ايضا

وغنت فيروز : " كيفك انت !! .. قال بيقولوا صار عندك ولاد .. " .

اشتعلت ثورة في بلدها . تغيرت الاوضاع اصبحت مسئولة ... تقلدت منصبا رفيعا ... وجاءت مصر هذه
المرة سفيرة لبلدها . خمسة ايام فقط هي مدة الزيارة . وقررت ..

يوما واحدة اقتنصته الوزيرة لنفسها تحررت من اثقال الوظيفة من عبء الديبلوماسية . طار بها الليموزين
للاسكندرية اليوم كله لهما . والتقت به كانت دوما تستطيع ان تجده ووجدته . طارت اليه ولقيها ...
كل تلك الاماكن التي عاشتها طافت بها نزلت من السيارة تلمست سور الجامعة ورصيف الميناء وبكت فرحا
وسعادة عند كل ميدان وشارع خطت فيه خطواتها الفتية وعاد بها السائق في صمت الى غرفتها في الفندق
المطل على البحر . صمت لم يقطعه الا نهنات وبكاء مكتوم .

بعد انقضاء زحام الظهيرة وحين اوى اخر العاندين من اعمالهم الى بيوتهم يلتمسون دفء البيوت وحنين
الزوجات وانتظار الابناء يحتمون بمساء يرخى استاره على المدينة مبكرا كعادته في مثل هذا الوقت من السنة
كان قد خرج للقاءها

يقولون ان المرأة يقودها قلبها نعم ... قلبها ... فلولا قلبها لما امكنها ان تتخطى كل هذه الحواجز
الديبلوماسية وقواعد البروتوكول القلب اقوى من السياسة ومن كل شى .. انها امام قوة امره مسيطرة .
انها القوة التي كانت ترسم حياتها ووجودها منذ خمسة عشر عاما .

كان السؤال الحائر ينتظر في عينية ..انتظار لم تفلح كل محاولاته على ان تجد اجابة له طوال سنوات .
انتظار عيب كل شىء ينتفس حياه فية . انتظار جعله خارج دائرة الحياة وبعيدا ايضا عن فارقوها
لاعاش ولاميت ... انتظار فقد فيه قلبه وتركة هناك على ابواب سفرة بلادها حين راح يسال فقالوا له : - -

- لا تتعب نفسك .

رمقوه بنظرة من ينصحة بالابتعاد عن المشاكل !! نطق الرجل بكلمة واحده فقط وهو يتظاهر بانه يفعل شيئا ما : " سياسة " ..

التقاها فى ذات المكان الى جمعها لأول مرة

مر فى طريقة بهذا المكان عند التمثال الابيض الشهير باعمدته البيضاء المشرعة الطويلة على البحر عند المكان المعروف باسم السلسلة . خفف السرعة .. تركوا الاشرعة البيضاء للتمثال ترحل خلفهم . مر بالسيارة تباعدت المسافات .. غادر طريق البحر ليقطع شارع سوتر .. سور الجامعة ... دمعة لم تستطع ان تمسكها .. صمت علا على صوت محرك السيارة وقطرات مطر خفيف قررت به السماء ان تودعهما فى لقاء لعله الاخير .

عند مدخل عمارة فاخرة توقف ... حاول ان يقول شيئا كل الكلمات تاهت على شفثيه حتى كلمة "اشوف وشك بخير!" او مع السلامة . فقط نظر اليها ونظرت اليه ثم غادرت ...

عاد بالسيارة الى الطريق الطويل الخالى من المارة فى هذه الساعة طريق طويل الى منزلة فى الجانب الاخر من المدينة .. صامتا . صوت محرك سيارته يبكى انينا وزخات المطر التى تساقطت على نافذة السيارة امامه تشرف على ليل الشوارع دموع فراق لايدرى هل يجمعه لقاء بعده .

حين وصل الى بيته كانت تمطر بغزارة فى حين هبت ريح باردة عصفت فاسقطت شيئا ثقيلًا احدث صوتا وجد مكان سيارته المعتاد مشغولا وجد مكانا فى شارع جانبي اغلق سيارته وخرج سائرا فى منتصف الطريق الى بيته يستقبل هطول المطر بكل حواسه ... امام السلم الصاعد والاسانسير وقف صامتا للحظات . اعلن الاسانسير عن وصوله ... لكنه اختار السلم ! راح يصعد كل هذا الدرج حتى الدور السابع . لايدرى الا انه وجد نفسه امام باب شفته .

بمجرد ان وضع المفتاح فى باب الشقة سمع صيحات ولدية كريم وسعيد . واندفع الاولاد نحوه .

- هيببيبي بابا جه ... بابا جه هيببيبييه !
- نظر الى زوجته
- مساء الخير ! ايه اللى مصحيكم لدلوقتى ؟ !

الولاد مستنيينك نتغدا سوا !!! على ماتاخذ دش دافىء اكون جهزت السفره !!

انها الحادية عشرة ليلا ! لم يجد جوابا !!

- ناولته الفوطة وهى تساله : اية اللى اخرك ؟
- سكت قليلا وتفادى عينيها المتفحصتين ثم قال وهو ياخذ نفسا عميقا ملء به صدره
- لا ولا حاجة .. كنت باراجع شوية حسابات ! .

الاسكندرية فى سبتمبر 2019

لا احد يتذكر على وجه اليقين ما حدث بالضبط . وكيف بدأت هذه القصة . بل قل هذا الشجار . الذى ادعى ان فيه قصة ما . من الذى بدا الشجار ؟ لا احد يعرف

ان سعد الميكانيكى ليس موجودا ليروى لنا ماحدث . ليروى القصة على الاقل من جانبه .

ولا حتى الاستاذ مصطفى فالاول فى المستشفى فى حالة خطرة والاخر ترك شقته وذهب ليعيش عند اهل زوجته خارج المدينة .

لم يعد هناك احد يمكنه ان يروى ماحدث لانه يجب ان نعود الى الوراء , نعتصر الذاكرة .. فلعل هذا هو ماحدث بالفعل لا ادري !...

فى احد هذه الايام الشديدة الحر من ايام يونية, كان الاستاذ مصطفى يلتقط انفاسه بصعوبة , وهو يكاد يختنق غيظا بعد ان اجتاز كل هذه المسافة وهذا الزحام , الذى اصبح سمة للمدينة من مقر عملة فى المدرسة الثانوية الى بيته فى سيدى بشر. لم يجد مكانا يركن فيه سيارته الصغيرة فتوقف فى منتصف الشارع وراح يجول بعينه ثم يعود الى حيث بدأ . ليس هنا مكان يضع فيه سيارته – كانت هناك سيارة اخرى قد احتلت المكان الذى اعتاد ان يضع فيه سيارته المتواضعة. قد تكون هذه هى البداية . نعم كان الميكانيكى المعروف باسمه " سعد الميكانيكى " , قد خرج لتوه من تحت احدى السيارات التى يعمل على اصلاحها ومازال المفتاح الحديدى فى يده وراح يشير للاستاذ مصطفى ان يخلي الشارع للسيارات فهذا يعطل عملة – فى حين ان الاستاذ مصطفى راي انه يشير الية بان يركن صف ثان – لكن الذى حدث ان الامر تطور الى مشاجرة وتبادل الاثنان الشتائم والسباب . ولما لم يتدخل احد من الناس ليمنع هذا الشجار اكتفى الطرفان بالسباب والشتائم والتهديد والوعيد .

و حين اطلت عدة رؤوس من الشرفات والنوافذ لتعرف ما يحدث عادت الى الداخل سريعا بلا اهتمام ..وماعدا ذلك فان شيئا اخر لم يحدث !!

حين استيقظ الناس فى صباح احد الايام وجدوا ماسورة حديدية مثبتة فى الارض كان الاستاذ مصطفى قد قضى جزء من الليل وهو يثبتها فى الاسفلت ليضمن لنفسه هذا المكان فلا يتكرر معه ما حدث بالامس القريب . وماهى الا ايام قلائل.... حتى كانت الاعمدة الحديدية...وبلوكات الطوب الكبيرة قد ملئت شارع السويفى .

كل صاحب سيارة او متجر او دكان يريد ان يحجز مكانا له امام بيته ...

بل تفاقم الامر حين تشاجر احد اصحاب البيوت من رجل يضع سيارته امام بيته وهو يسكن فى الشارع المجاور وهكذا اصبح الامر حديث الليل والنهار لا يكاد يمر يوم الا وتسمع هذا الشجار .

فرض الميكانيكى كلمته على مساحة كبيرة فلم يعد احد يجرو على ان يضع سيارته او اى شى عفى هذا المكان.

امتلا الشارع بسيارات سعد . خمس اوست سيارات استاثرت بالاماكن وانتشر صبيان سعد يعملون على هذا السيارات...

سكت الناس على مضض.... ثم سكتوا تجنبنا لسلطة لسانة.... ثم سكتوا خوفا .

جلس الميكانيكى فى عرض الطريق وفى اى مكان يحلو له يدخن الشيثة ويامر صبية هذا ان يفعل كذاويعلو صوته بالسباب على اخر..... ويلعن سنسفيل الشارع والمنطقة . لم يرد عليه احد .

هذه المرأة التى تتبع الجبن..... تاتى من بعيد فى طلعة كل صبح تقضى النهار امام طست ملىء بالجبن واشياء اخرىفرض عليها الميكانيكى ان تدفع لهلايمكنها ان تجلس دون ان تدفع.... انها تجلس على ارضة وتفترش رصيفة انها تحتمى به دفعت المرأة....

وجاء "استيكة" هذا هو اسمه – خرج لتوه من عامين حبس سرقة بالاكرأة – جلس على المقهى فى اول الشارع.... طالبت جلسته.... وجد له سببا ليعود المرة بعد المرة وضع كرسية فى اول الشارعونافس الميكانيكى فى السيطرة على ماسموه جراجا... راح يتقاضى اجرا عن حراسة احدى السيارات الخاصة بالحاج سيد التاجر. فقد اوصاه الرجل على سيارته . وضع فى يده ورقة من فئة المئة –احتسبها الرجل الطيب صدقة - ومن هنا بدا الامر

حين ذهبت "ام طارق" التى تسكن فى الدور الارضى فى بيت الخواجة الواقع قبيل نهاية الشارع الى نقطة الشرطة لتقدم الشكوى بعد ان سرقت شقتها المتواضعة , نهرها الضابط النوبتى

– هو احنا ناقصين – راديو اية وتسجيل اية؟؟

عاد استيكة الى السجن ..

.....

مر اسبوع ..

اتصل رجل بشرطة النجدة الحقونا

-ايوه يافندم اتفضل

-الدنيا مولعة ياباشا - عركة كبيرة جدا وفيها ضرب نار وفيه ناس مصابة

-ايوه - لحظة واحدة مرت دقيقتين

-الو ايوة اوكية اتفضل - اية الموضوع ؟

ياباشا الدنيا مولعة .. الناس حتموت بعض

- لحظة واحدة - الاسم ورقم البطاقة

.....

- ابيوة - سعيد محمد على ... اية ؟ كمل الاسم

.....

- ستة ولاتسعة - معلش من تانى

.....

(صوت طلقات نار)

- لا العنوان اللي فى البطاقة

.....

طلقات نار وصرخات نساء وصوت ارتطام جسد بالارض

_ الو ... الو الو الو..... الو.....

زكريا - الاسكندرية فى 8-3-2016

.

(ناس وناس) ...

اقترب منى وانا مستغرق فى عملى حتى اننى لم انتبه اليه حين دخل المكتب . كان مكتبنا هو هذه الغرفة الفسيحة التى تتسع لنصف موظفى الشركة . وجدته امامى مباشرة . وهمس فى اذنى انه يريد ان يبوح لى بسر وراح يتلفت يمينا ويسارا كانما يحرص على الا يعرف احد . لايعرف احد حتى مجرد انه سيخصنى بهذا السر . وبدافع الاهتمام توقفت عن العمل ونحيت الشاى جانبا ليتسنى لى تلقى هذا السر ! لقد اثار فضولى حقا !!!

اقترب منى اكثر حتى كادت رأسه تلامس رأسى ورحت اتطلع لوجهه الذى حمل كل التعابير التى لايمكن وصفها فى كلمات قليلة . بل لعلى اضيف الى الفضول ايضا القلق . فانا لم اعرف الرجل الا منذ فترة قريبة ! نعم معرفتى به ليست قوية الى هذه الدرجة واول ماطاف بذهنى انه بلاشك شئ ما يتعلق بالعمل وبى . جذب الرجل كرسيه من احد الاركان وجلس امامى مباشرة .
- هة .. خير!!؟

من قليل المعرفة به ولما كانت احدى هواياتى سبر غور الناس ومعرفة شخصياتهم وتحليلها فقد كان زميلنا هذا هو احد الشخصيات التى تدهشك الايام بوجوده على خريطة البشر . فقد كان يستطيع بروحة المرحه ان يضىف جوا من البهجة على المكان كلما تسنى له الوجود بيننا كما كان يدهشك انه صاحب مقولة ورأى فى كل حوار وكانت بعض ارائه من اعجب واغرب مايكون ! كان يمكنه ان يشارك فى اى وفى كل نقاش من اول انسداد بلاعات المصلحة الى تاثير التجارب النووية على تغير محور الارض واثر ذلك على مناخات دول جنوب شرق اسيا !!!!

راح مرة اخرى يتأكد ان لا احد يسترق السمع وليس ثمة احد قريب كفاية لسمع ما نقول ... وحين هم بالحديث كادت جبهته تلامس جبهتى وراسه يلامس راسى والحقيقة انى كنت ومازلت فى حيرة من امرى ولاادرى السبب الذى جعله يخصنى بهذا السر ! فلم اكن من اقرب الناس الية كغيرى , بل لم تك حتى تربطنا علاقة وثيقة الى ذلك الحد . الا ان الرجل وكانما ادرك مدى دهشتى . بادرنى بقولة " اصل انا عرفت انك بتكتب قصص !!"

- قلت فى سرى , هى قصة اذا !! لكنه وكانما يقرأ افكارى بادرنى بقولة " لا ليست قصة "!!!!
لقد اثار فضولى حقا . انه سر فالسر ليس قصة او حكاية؟! لا لا لا لابد انه امر هام -
-- هة فلنسمع !

التفت للمرة الاخيرة قبل ان يلقي الى بسرة

_ انا عندى قوة خارقة !!

ولما كنت شخصا يحسن الاستماع بل لعلها طبيعتى التى ربما جعلته يبوح بسرة لشخص يجيد الاستماع فقد ..صمت تماما لاترك له الفرصة كاملة ليكمل هذه الجملة المبتورة قوة خارقة ماذا !!

رحت ببصرى اطوف بهذا الوجه التمس كل خلجة وثنية واتبين الحقيقة فى هاتين العينين وطاف بذهنى الف صورة وفكرة فى لمح البصر وانا احدق فى عينية اللتان بدتا فى جدية لاشك فيها . ياللهول ! ورأيت هذا النظرة الجادة وتذكرت ان الرجل انما اختارنى ليبوح لى بالسر ثم ما درانى!!

والواقع الذى لايمكن تكذبية حكمة سمعتها من جدتى قديما " يوضع سره فى اضعف خلقة"

رحت اعمل ذهنى الذى فاجاته الكلمة وانظر فى وجه الرجل ثم اتذكر المرات التى رايته فيها واتذكر شئ يميزه عن الناس ويفوق به عن من اعرف منهم فلم اجد!!!! . فاثار اهتمامى فملت عليه براسى وبنفس النبوة التى خاطبنى بها

- قوة اية؟! ايوه يعنى بتعمل اية؟

نظر حولة قبل ان يشير الى بيديه بكفية الاثنين معبرا " انا باقدر اختفى تماما " . "يعنى عندى القدرة انى مفيش حد يشوفنى " يعنى باقدر امشى كده ومحدش يشوفنى " يعنى انا"

- "مفهوم .. خلاص .. خلاص فهمت!!!!"

وايضا اشرت الية بكلتا كفى كاننى احرص على الا يسمع احد مايقول ورحت اقلب الامر فى ذهنى وارتب السؤال او قل الاسئلة !! فاذا به يوفر على الجهد ويباردنى بقولة "طبعاً حتسالنى " قلت نعم تماما!!!وقد اعجبنتى سرعة بديهته .

لكن مادهدشنى حقا انه وحين راح يقص على ماحدث له, كان عدد من الاصدقاء قد جلسوا يستمعون . ولم اره الا قد صار يوجه حديثه الينا جميعا وقد علت نبرة صوته حتى صار كل من فى الغرفة الفسيحة يسمعنا .

- لقد اختفى حين مر بسيارة بجوار لجنة تفتيش..... حين لم يكن يحمل رخصة قيادة.....ومر " كاللهو الخفى" - وهذة من عندى - حين التقى مدير العموم فلم يمنعه الفراش على الباب بل لم يره اصلا!!!!

وقال لى انه تسلل وصفع هذا الرجل المقيت الذى تجرا فخصم من راتبة 3ايام فى مكتبة وظل الرجل يهزى طوال ايام حتى نقلوه من مكتبة الى مكتب اخر!!!! فى الاخيرة تعالت ضحكة هنا او هناك!!! وانا لانا تذكر هل ضحكت ام تبسمت فقط فانك لايمكنك ن تتخيل هذا الموقف الاخير دون ان تضحك !

فى اليوم التالى رايته 4 مرات كان فى الاول منكبا على سيارة احد الزملاء وقد اخرج احشائها وراح ينظف شيئا وقد امتلات يديه شحما وزيتا وفى الثانية كان يضحك بعلو صوته وهو يناقشة فى شىء ما وهو يستشهد باحد الواقفين -وحيات امك مش انا قولتلكه ومصدقنيش!قول الحق!! وعاد الى ضحكتة التى تدوى فى ارجاء المكان .

رايتة فى الثالثة عند مكتب رئيس القسم فصافحنى بحرارة واحتضننى - وبابتسامه كشمس الصباح سألنى كاي صديقين قديمين انت فين ياراجل!!!!

حين كنا جميعا نهم بالانصراف من العمل رايتة وقد تعلق بسلم خشبى طويل لاعرف من اين احضرة ! كان يصلح الكهرباء !

صاح فية زميل وهو يغادر

- اوعى الكهرباء ياخليل انت مش ناقص وضحك .

-ارتج السلم الخشبى بخليل وهو يضحك هو الاخر واسرع قبل ان يتوارى صديقة هذا عن الانظار ليقول له

- المرة الجاية حادفك ! عربية هيلة زى صاحبها ! وراح فى نوبة ضحك!!!!!!!!!!!!

الاسكندرية فى 19-فبراير 2017

زكريا الشافعى

هداية

لم يكن قد قطع نصف المسافة للمسجد فى هذا السكون الجليل فى هدأة الليل قبيل الفجر, حين مر بهما . كانا الاثنين جالسين على شى ما . القى السلام كعادته كل ليلة وهو ذاهب لصلاة الفجر فى هذا الثوب الابيض الناصع الذى يكاد ينير هذا الطريق الضيق الذى بخلت عليه المصابيح . لايدرى هل رد احدهم السلام ام لاحارة ضيقة تكاد نوافذ البيوت وشرفاتها المتقابلة تتصافح . كان سعيد المن وهذا هو لقبة احد الاثنين الجالسين شاب فى مقتبل العمر لكنه يبدو اكبر من سنة لاتعرف له مهنة ولا عملا . يحيا على مناكفة خلق الله او السمسة او اى عمل سريع يدر مالا سهلا. كنا نعرف ان اى عراقى فى الحى يكون هو طرف فية . كان جهير الصوت جرىء فى الشر. تبع احدهم خطوات الشيخ

بعد لحظات وجدوا الشيخ مغشيا عليه ممددا على الطريق على بعد خطوات من المسجد .و حين رآه احد الذاهبين للصلاة اسرع الية . لاحول ولا قوة الا بالله ..مين اللى عمل فيك كده ياشيخ سيد !!!؟.

افاق الرجل وهو بين اليقظة والاعماء تحسست يده جيب الثوب فادرك ان الورقة المئة جنية ومعها بضع جنيهات اخرى قد اختفت حملوه الى المسجد توشاً من جديد طقطق الميكرفون مبددا هذا الصمت كان الاذان بنبرة حزينة باكية ... حين اشرق الصبح لم يكن احد قد علم بعد بماحدث للشيخ سيد والشيخ سيد نفسة رفض ان يتهم احدا ... قال بعضهم انهم يشكون فى سعيد المن هذا او على الاقل هو يعرف من فعلها ...رفض الشيخ سيد ان يقول شيئاً لم يره بام عينة .. يخشى ان يتهم احد زورا !! فى صبيحة اليوم التالى اجتاح الشارع الضيق اربعة ادرك كل من راهم ان شرا سيحل بمن يلقونه ... وكان المن وحيدا نائما فى غرفة الضيقة تحت السلم اخرجوه من جرة الذى ينام فية سحولة فى الشارع واشبعوه ضربا صرخت امراة فاجتمع الناس ونظر اخرون من النوافذ الضيقة التى تطل على الشارع لم يستطع احد ان يتدخل اوربما لم يرد احد ذلك صاح احد الاربعة بصوت اجش كفيحح الافعى " عليه خمسمائة جنية " سمع الناس صون المن هو بين النوم وقطعة الانفاس من الضرب " - معايش فلوس ياجدعان - سقطت ورقة بمئة جنية من جيبه التقطها احدهم ودسها فى جيبه - او مال دى اية ؟

-بدا عليه الذهول تسلل احدهم سريعا الى حجرته تحت السلام وخرج بشىء يظن انه ذو قيمة صاح موجهها كلامة لسعيد المن الذى كان ممددا على الارض - " تجيب الربعميت جنى تاخ ده " حين زاد عدد الناس بدا القلق على الاربعة الشاهرين اسلحتهم البيضاء فبادروا بالفرار كان صندوقا خشبيا صغير يبدو للناظر الية لاول وهلة ان يحوى شيئاً ذا قيمة كما انه كان مقفلا بقفل

مما يؤكد الظن طار الاربعة فى الشوارع اقترب بعض الناس من سعيد المن الذى بدأت الدماء
تعطى انحاء متفرقة من ملابس
خرجت امرأة من دور ارضى ومدت يدها بزجاجة مياة وتطوعت اخرى مع رجل طاعن فى السن
فمسحوا الدماء عن وجهة وراسة

القت الية امرأة خرقة بالية ليسد بها الجرح النازف .
افاق واعتدل فى جلسته . اجلسوة على الرصيف لم يثبت بينت شفة لكنه ظل ذاهلا ..صامتا

كلمه الرجل – يابنى فوق ... قولى اسمك اية ؟
" اسمة المن " قالها احد الواقفين للرجل بنبرة تعجب .

– بدا الاستنكار على وجه الرجل العجوز من الاسم
– " اسمة سعيد " صوت اخر قالها .

اشار المن بحركة اصابعة يطلب سيجارة من اى احد من الواقفين بعيدا عنه بيده ...ناولة ادهم
سيجارة مشتعلة وتركوه جميعا يدخن فى صمت وانصرفوا

انفض الناس من حولة سريعا حتى الرجل الرجل تركه وهو يدعوا لة بالهداية
– وضع يديه الاثنتين على راسة وانكفء على نفسه

مرض سعيد ثلاثة ايام لم يعد احد يراة . . رأوة مرة يتهادى بين اثنين فى طريقة الى الصيدلية على
الشارع الرئيسى

فى طريقة لصلاة الفجر سمع الشيخ سيد أنات ألم فى هذا الهدوء الجليل توقف قليلا , كان صوت سعيد
المن , ثم اكمل طريقة للمسجد بخطوات ثقيلة كان الاذان بنبرة حزينة باكية

جلس الشيخ سيد فى مصلاة يسبح وهو يتوقف بين الفينة والفينة يسرح قليلا ثم يعود مستغفرا " استغفر
الله العظيم لاحول ولاقوة الا بالله " حتى اشرفت الشمس, وبدأت ضوضاء النهار المعتادة تدب فى
الطرقات وتتحرك فى المنازل .
قام الشيخ من مجلسة وهم ينتوى شيئا

حين توقفت خطواته امام الشىء الذى يسكن فيه سعيد المن تلفت بخفة حولة لم يكن يريد ان يراة احد
وهو يحمل فى يده هذا الكيس الكبير

حين دق الباب كان المن يقف مترنحا مجهدا ليفتحة كانما كان ينتظر احد ما

سلام عليكم ازيك ياسعيد

-الله يسلمك ياشيخ سيد – ثم اراد ان يقول شيئاً لكن الكلمات انحسرت فى زوره وضع عينيه فى الارض ولم يقل شيئاً ... كان الصمت بليغا !!

وكان الدنيا كلها بنقائها وصفائها ورحمتها وانسانيتها هى الشيخ سيد وايضا بجرمها وشقائها وحقارتها هى سعيد المن . لم يكن لنور الصبح مكان فى هذه الغرفة . لاشباك ولاطاقة نور شىء يذكر بكبر!! . معيشة وحياة لاتستحق عناء مكابقتها والسعى فيها . كان الشيخ سيد يجلس فى ثوبه الابيض الناصع البياض ولحيته البيضاء الخفيفة يضىء نقاء على المكان .

بهذه الابتسامة الوداعة والعينين الامنتين حين هم بالانصراف وهو يضع شيئاً فى جيب سعيد المن _ياسعيد انت محتاج مصاريف خلى دول معاك .

- الميت جنية ياشيخ محمد اللى ...قالها سعيد وهو لايكاد يرفع عينه فى وجه الرجل اشار الية الشيخ بيده لم يدعه يكمل !

مرت ايام قليلة لم يكدي يخرج المن ليعمل حتى اجتاح الحارة هؤلاء الاربعة مرة اخرى طالبين مالديهم عند سعيد " اربعمائة جنية"

كان احدهم يحمل سلاحا ناريا ارادوا المن وقف الشيخ سيد بينهم.... حال بينهم وبين سعيد وقف الناس يشاهدون .

خرجت رصاصة استقرت فى صدر الشيخ !!!

تضرج الثوب الابيض بالدماء . اختلط برائحة المسك . صرخ سعيد.... انكفاً على الشيخ بكى بكاء مرا

كان على وجه الشيخ سيد هذه البسمة التى راها اول مرة حين زارة فى هذه الغرفة التى تبعد بضع خطوات

.....

مسحت الشرطة المكان وقبضت على الكثيرين لكن .. لم يكن سعيد المن واحد منهم .

اذن المؤذن ..

مرت خمس وعشرون سنة تحول هذا المسجد الصغير الى جامع كبير... ملحق به مستوصف وجمعية اهلية .

وقف الحاج ابو السعادات فاستطالت الاعناق لتملا النظر من رجل البر والاحسان , وقف صاحب الايادى البيضاء يوزع شهادات التقدير .. والاعانات المالية ... ورحلات العمرة فى جمعية الاهلية الملحقة بالمستوصف الطبى الذى بناه منذ عدة سنوات .

وحين نودى على اسم الفائز بمسابقة حفظ القران الكريم " محمد عبد الفتاح سيد هداية " لم يملك الحاج ابو السعادات دموعة الغزيرة التى راحت تتساقط على لحيته وهو يقبل راس الفتى ويسلمة الجائزة وهو يردد فى صوت اقرب الى البكاء ...

- الله يرحمك ياشيخ " سيد هداية "!!!!!!

زكريا الشافعى

الاسكندرية فى ابريل 2018

ثم اما بعد !

كانت ضيفة البرنامج التلفزيوني الشهير وعرفت انها كاتبة معروفة هكذا قالت لى زوجتى من بين طقطقات اللب الذى احترفت التعامل معه وانا اناولها كوب الشاي بالنعناع الذى اعدته لتوى ... انا لاحب اللب فقط لاني لاعرف كيف اتعامل مع هذا الشى الصغير لاستخرج منه شى اصغر !!

ماذا كان اسمها .. ! لااتذكر . لكنى اتذكر جيدا اصرار زوجتى على ان تعرفنى من هى . وراحت تذكر اسماء مسلسلات انا فى الواقع لاعرفها ولم اشاهدها , وربما تصادف ان رايت حلقة اومشهدا فلست من هواه التلفزيون . حتى انتهت فى تعريفها الى انها زوجة (ى. ف). وهو حقيقة فنان معروف لاشك فى ذلك ولاشك اننى اعرفه لكن هذا ايضا لايعرفنى من هى . هل نستطيع مثلا ان نعرف احناتون بانه كان زوج نفرتيتى او العكس !

لكنها توقفت وهى تشير بيدها الممسكة بحبة لب كبيره وقالت :تعرف انها مسيحية !

لقد نجحت فى اثاره انتباهى. نعم المرأة لم تكن على قدر من الجمال لكنها وقد جلست استمع الى كلامها وحوارها وردها على اسئلة المذيعه البلاستيكية ادركت انها صاحبة راي وفكر ..

وارتفعت طقطقات اللب ثانية لتتوقف عند سؤال استنكارى : ازاي اتجوزها؟! قلت : عشان مسيحية يعنى؟! عادى المسلم ممكن يتزوج من مسيحية ويهودية كمان

فى شبة استنكار : لا.. بس ...

- لابس ولاهس ! النبى اتجوز مسيحية ويهودية كمان ... ايه انتى ناسية ان رئيس جمهوريتك نفسه متجوز مسيحية !
- لا انا معنديش اعتراض بس
- ثم سالتها المذيعه سؤالا لعله اثار اهتمام زوجتى فكفت عن الكلام وتركتنى لانتذكر واسترجع لمحة من ذكرى قديمة ...

نظرت الى زوجتى التى اعطت كل اهتمامها للشاشة المضيئة وتواترت على مخيلتى الذكريات كقطرات اول نزول المطر فى ليلة صيفية حارة , كاللجوء الى حجرة مكيفة الهواء فى جو شديد القىظ . فاخذت كوب الشاي وجلست فى هذا الركن الخاص ومر شريط الذكريات امام عينى ...

السنة الاولى فى كلية الاداب قسم اللغة الانجليزية لم يكن العدد كبيرا . لذلك فقد تعرفنا سريعا , على الاقل معرفة الوجوه .

كنا نعرف ان هذا الوجه ينتمى الى القسم اما الاسماء فلم تكن قد وردت بعد . نعم استطاع بعض الزملاء الذين لهم موهبة اجتماعية ان يتعرفوا باخريين خاصة الشباب مع بعضهم والبنات بالطبع ...

كنت اسكن فى سيدى جابر قريبا من شارع ابوقير وهو الشارع الرئيسى الذى يقطع الاسكندرية من شرقها الى غربها وكانت هى فى سبورتنج قريبا من النادى العتيق عرفت ذلك من البداية لانه كان من الطبيعى ان يتصادف ركوبنا الترام سويا .

لم اكن من هؤلاء الشباب الذين يبتدعون الحيل ليتعرفوا ويتكلموا مع البنات

- ايه التماحيك دى؟! ده نقص وقلة المروءة - كنت اقولها على هؤلاء الذين يتصنعون المواضيع ليحدثوا فتاه فى القسم دونما سبب ومبرر

مر الترم الاول بكل مافية من رهبة البداية وتعسر المبتدئين مر بكل معاناته التى منها ايضا عدم وجود صداقات كنا جميعا كانما تم انتقاؤنا فرادى من مدارس الاسكندرية والمحافظات الاخرى لم اجد معى زميلا اعرفه من قبل .. ولاحتى من مدرستى الثانوية !!

نعم مر الترم الاول . امام اللوحة التى ضمت اسمائنا خلف اطار زجاجى وتحت لوحة كرتونية كتبت بخط يدوى ردىء . عرفت نتيجتى وعرفت اسمها بالكامل ايضا لم يكن الامر يحتاج الى جهد كبير مع عددنا القليل نسبيا . كان اسمها على القائمة - نيفين ابراهيم موريس عطا الله . هكذا اذا انها طالبة مجتهده فقد كانت تقديراتها جميعا لابس بها .. جيده الامادة الترجمة ! وهى الامادة التى از عم اننى كنت متفوقا فيها ضمن عدد قليل من زملائى . بعد يوم حافل بالمحاضرات انتهت بعد المغرب وقد اسرعنا جميعا الى بيوتنا فى هذا الجو البارد الذى زادت لفحات ريح ثائر فى برودته . وقرب مجمع الكليات من البحر اطلقت الرياح يدها فى شوارع الشاطبي الخالية . تكدسنا فى الترام , كانت فى نفس العربة , رايتها تتحرك فى حرج من الشباب الذين ملأوا العربة وراحوا يتصايحون . وكانها تبحث بعينها عن مكان اخر . لمحتنى وعرفت انها عرفتنى . فاشرت لها واخليت مكانا . انكمشت فى الركن

محتضنة كتبها وشنطتها وشكرتني بهز راسها. لمحة سريعة من عيون سواده واسعة جميله رموشها الطويله كانها حراس واقفين برماح حاده .

كنت اصعد سلم الكلية جريا فقد كانت الساعة قد تخطت الحادية عشرة بخمس دقائق موعد محاضرة الدكتور محمد الدورى وهو رجل كالساعة انجليزي المظهر والمخبر كنا نهابة ونحترمة لعلمة وشخصية لكننا كنا ايضا نتهاشم ضاحكين فالرجل كان اشبه بجنرالات الحرب فى الحرب العالمية الاولى بشاربه الكثيف ولحيته الانجليزية ووقفته التى لاتخلو من يد فى جيب وهذا الزى الكامل الذى لم اره يوما انتقص منه شيئا. البدلة والصديري والكرافت والباطو والكوفيه واخيرا الكاسكتة التى تتخيل انها جزء منه ..

لكن الرجل كان استاذا و ابا ومعلما احببناه حقا.. اذكر اننى حين علمت بوفاته بعد ذلك بسنوات عديدة بكيت كما لم ابك من قبل بكيته كما بكيت ابى وقد راحت زوجتى حينها تتعجب لانى لم ات على سيرته لها من قبل . وضعت اذنى على باب القاعة ياالله . لقد حضر ... "فاتنتى المحاضرة " لم اكد استدير لاغادر المكان حتى لمحت رفاعى عامل البوفيه وهو يحمل القهوة اليه رفاعى هذا رجل صعيدي اظنه لم يغير الا جلبابه حين تسلم العمل فى الكلية الرجل تحتاج الى مهاراته فى الترجمة والالمعيه والفاكاكة وقراءة تعابير الوجه لنفهم احيانا عبارة قالها لك ! كان يعرفنا نعم فقد كنا على كثرة عددنا نتسلل الى البوفية لنشرب شيئا قبل او بعد المحاضرة لبعده الكافيتيريا . ولانه ممنوع شرب الشاى فى الطرقات فقد كان رفاعى يدبر لنا مكانا مخفيا فى البوفية الذى يعد فيه المشروبات لاساتذه القسم والمعيدين .

حين رانى على الباب صاح بكنته وكلماته السريعة التى تخرج كطلقات بندقية سريعة ... انتاخرت ؟ دق الباب دقتين وفتح ودخل . وقفت عند الباب انتظر الاذن بالدخول ورغم نظارته السمكة التى تتدلى حتى تظنها ستسقط وعكوفه على الاوراق التى امامه فقد احسن بطريقة ما بوجودى فاشار بيده فدخلت وبشكل تلقائى جلست فى الصف الاخير تركت مسافة كرسى بينى وبين الجالسة بجوارى التى كانت فى الواقع هى نعم لقد كانت هى !! حيثنى بابتسامه ورددت بايماءة راسى . تحدثنا بعد المحاضرة حديث تعارف ومن بين الكلام عرفت انها اخت الكبرى لها شقيقة صغيرة عرفت الكثير عنها فاجاتنى بتلقائية وعفوية حديثها وهى تحكى عن اختها الصغيرة وبيتها ثم فاجاتنى اكثر وهى تهنئنى وتقول - تقدير اناك حلوه .. مبروك ! كادت عباره " عرفتى ازاي .. انتى لسه عارف اسمى دلوقتى تنزلق من على طرف لسانى .لكن كماكينة الانسر ماشين . اجبت - اشكرك .

- ممكن لو عايزه اعرف حاجة ابقي اكلمك بالتليفون !!!
- اه طبعاً .. ممكن ! ...لم انتبه الى القلم المستعد المنتظر فى يدها لتسجل الرقم . الواقع اننى لم اكن اتوقع ذلك.
- اغلقت الاجندة وقد لاحظت هذا التردد للحظة
- خلاص بلاش .. يمكن !
- لا لا الرقم ا . ا
- وفى ابتسمه رائعة _ ايه ؟ نسيته هههه !؟

وبابتسامه من قفشوه وهو يتلصص على بنت الحيران رحلت املها الرقم 5 ..4 ... 0

- ميرسى جدا
وفى مفكرة صغيرة زاهية الالوان اخرجتها من شنطتها كتبت شيئا سريعا ثم طوت الورقة بعناية ونظرت الى وهى تبتسم كالربيع كله
ثم فى خفة وضعتها فى جيب قميصى .
- ده تليفونى .. هه .

اشنكتك من صعوبة ماده الترجمة ليس لشيء الا لان لغتها العربية سيئة . عرفت انها خريجة مدرسة " سان شارل بورمييه " لغات فهى لاتحسن هذا الجزء طلبت منى النصيحة فاستغرقت فى حديث جاد اشرح لها فيه مايجب ان يكون وانا اتفادى النظر فى عينها ... وهكذا عرفت نيفين ...

كانت هى الجمال الحالم الوداع , وجه ابيض استدار كاقمار الدنيا كلها مجتمعة وخدود داعبتها ورود حمر فتشربت من لونها , شفتان كحبات الكريز على غصنها فى صباح يوم ندى وانف عنيد متعال يتحدى الكبرياء والثقة .كان لها هاتين العينان الاسرتين الودوده الباسمة . والاهداب الطويلة المحذرة المهددة .حين كنت اراها تسير كنت اتعجب كيف تحتمل وحدها كل هذا الجمال وصوت اغنية شهيرة تقول " .. ماتبطل تمشى بحنية ليقوم زلزال " كنت اتسائل حينها هل سيقوم زلزال !؟ كانت تتهادى فى هذا الثوب المحظوظ بخصر متمرد ثائر يذكرنى بيد المايسترو التى تتمايل يمينا ويسارا مع ايقاع الاوركسترا التى تعزف لحنا شهيا ! كان لها اشراقة ربيع واطلاله نهار .. كانت هذه البسمة التى تضىء المكان كنا نلتقى فى الكلية كاي زميلين يجمعهما قاعة علم

ودراسه مشتركة لكننا لم نكن كاي زميلين كان هذا الحوار الجاد الشيق المرح الذي يربط الخيوط ببعضها و يشدها شدا ,بولد المشاعر ويطلقها اريجا وشدا تتمازج فيها ارواح تعارفت قبل ان تلتقى ...

بمرور العام الاول كانت هذه المجموعة الصغيرة من الدارسين قد تعارفت بشكل جيد . بل عدة شلال وثنائيات تشكلت بشيء اقرب الى التالف والتناغم بين افرادها . كنا الشباب قد تعارفنا ورحنا نمزح في صخب وضوضاء يتخللها قفشات ومقالب نصر ابن خليل البندارى رجل الاعمال المعروف حينها واحمد ابو الوفا فارح الطول بشخصيته الفريده . او نكت رمزي الدقاق البيذينة التي لانكرانها كانت تضحكنا واحمد (اوأ) هكذا اطلقنا عليه حين علمنا ان ذلك كان لقبة في الثانوية , الساخط على كل شيء , الناقم من الجميع , كان على توقده وثورته واشتعاله طيب القلب متسامح الى حد جعله دوما هدفا دائما لمقالب صديقنا "عرفة" القصير المكير صاحب الضحكة المججلة التي طالما اوقعتنا في مشاكل . عقب احدى ضحكاته الانثويه . خرج دكتور سعيد استاذ مادة poetry "الشعر" من قاعة المحاضرات ليجد امامه عددا من الزميلات فينفجر فيهن .

_ايه قلة الذوق دى ... اتفضلوا من هنا ..

توجهت كل العيون الغاضبة بنظرها الى عرفة حينها

كان هناك وقت كاف بين المحاضرات يمكننا فيه ان نتبادل اطراف الحديث كلنا لكن كانت الراحة في الحديث اليها لايمكن وصفها . شيء ما نعرفه عن التالف والتناغم والاختيارات المسبقة . وهذا التعريف الاخير قرأته في احدى القصص الرومانسية يقول الكاتب اننا حين نقابل شخصا ما فنستريح له او نحبه فليس ذلك وليد اللحظة او انه اختيار " النظرة الاولى " لانها اختيارات قررناها قبل ذلك بكثير انها تصوراتنا واحلامنا التي تشكلت في داخلنا حتى حددت هذه الاختيارات ولم يبق حينها الا ان تسالنا الصدفة بعد ذلك فنجيب بمنتهى السرعة ..

الاعجاب المتبادل والراحة في الحديث اليها في التليفون وفي البريك وفي انتظار المحاضرة التالية وفي الركن البعيد عند كليه الحقوق بعيدا عن بقية زملاء ... وفي وجبة سريعة سندوتشات فول وكبده عند عدد من المحلات السريعة التي تناغمت بشكل ما مع محلات تصوير المستندات لتبلى حاجة عدد لاينقطع من الطلاب .

كانت تتكلم عن شيء ما بجدية وحرارة في صقيع ذلك اليوم وانا انظر الي هذا الوجه والعينين والشفتين ثم الى صفحة الخد الذي تصاعدت على صفحة حمرة ثم باغتنتى - هه قلت ايه .. انت رايك ايه ؟

- بعض الاسئلة قد لانملك لها جوابا
- ازاي ؟ مثال ؟
- اه نعم ... عندك سؤال مثلا سيرياسلى , seriously اكملت وملاحج الجدية لاتفارقنى ثم
- انت مثلا .
- انا ؟
- انتى حلوه كده ازاي حتى وانت متضايقه ؟! جاوبى !؟

احنت راسها خجلا واستكانت الرموش كيمامة هبطت على عشاها . وابتسامة تزيد وجهها جمالا وتالفا ..

حتى انقطعت عن الكلية اسبوعا كاملا ... ;

سالت صديقاتها المقربات قالوا انها مريضة وانها عملت عملية جراحية ما ! لادرى لعلها الزائدة الدودية او اللوز . ادركت اننى افتقد وجودها شيء ما ..! شيء يجعل الاماكن ليست كما هي

قالوا انهم سيذهبون لزيارتها غدا . كنت اتمنى ان اكون معهم . لكن اسباب كثيره منعتنى ... وغلبت الاسباب . لكننى عرفت موعد الزيارة وقررت ان افعل شيئا .

مرت زميلاتها ايرينى ومريم ودينا بجوارى عند التقاطع بجوار بوتيك الانتيكات ومحل الزهور والمشتل .

كانت ايرينى نسيجا مختلفا لايمكنك ان تتخيل انها تنتمى الى مجتمعنا الذى يمكن ان نسميه شرقي كانها فتاه هبطت لتوها من دولة اجنبية تى شيرت وبنطلون كانه زي رسمي لها . ممتلئة كيرفى جميلة المنحنيات تقيض حيويه ونشاطا وتنفجر انوثة . كان اغرب ما فيها لغتها العربية التي كنا نضحك عليها حين تتحفنا بتركيبه عجيبة لانظير لها فى اى قاموس عربى ولاعامى .

مریم كانت الھادئة الودیعة النحیلة , بعینان زرقاء كمیاه المتوسط . تبدو كانیة طالبة ایطالیة ببشرتها ولون عینیها وشعرها الاصفر متفقة بشكل مدھش لاتحب الدخول فی جدال ومناقشات كثیرا على عكس جمیع صدیقاتها كان عرفة یدعوها "الحكیمة" او "الھة الحكمة" یضم یدیہ قرب صدره ویقولھا ..

دینا كانت السیف والقلم قصیرة الی حد ما جمیلة التقاطیع سمراء مشربة بحمرة مصریة بطباع اولاد البلد لا یستطیع ان یدوس لها احد على طرف ولا حتی الدكاترة لسانھا كالسیف . لكنھا فاكهة القسم وتفاحته . جریئة الی حد الوقاحة اھیانا , خدومة الی حد النبیل

تقحمك ... تقحمك .. تجادلک حتی تستسلم... او نفر .. !!

كان ثلاثتهم على بعد ناصیة واحدة من بیت نیفین حین قابلتهم بالصدفة المقصودة او

- الله ایه یاجماعة ازیکم.. ایه الصدفة الطوة دی رایحین فین ؟ !
- وانت بتعمل ایه هنا ! فاجاتنی دینا بسؤالھا لكنی وقد وضعت كل الاحتمالات فقد كانت اجابتی حاضرة بل وعلیھا دلیل من بضعة اوراق وكتاب فی یدی .
- رایحین نزور نیفین !
- ورایحین بایدیكوا فاضیة كده ضحكت ابرینی الی كانت جمیلة وجریئة وهی تقول لا معانا المحاضرات متص ورة ماتجی معانا ولا انتوا اصحاب فی المدرج بس القتها دینا فی وجهی كالصفعة
- ابتسمت فی خجل حقیقی " مینفعلش ... سلمولی علیھا " . ثم واتتنی فكرة او هكذا صورت الامر . لم تكن تحتاج الی جهد كبیر فقد كان محل الزهور على بعد خطوتین .
- استنونی ...
- ودلفت بسرعة الی المحل وفی دقیقة كنت قد خرجت حاملا بوكیة ورد صغیر یناسب البضع جنیھات الی تبقت فی جیبی تألفت فیھ ثلاث وردات جمیلات برداء ناصع البیاض من زھر البیلسان .
- یاعینی یاعینی یاسیدی یاسیدی – قالھا الثلاثی المرح حینھا فی هذا الیوم اتصلت بی لتشكرنی . سالنتی انت تعرف زهرة البیلسان .
- ضحكت واعطیتھا تقرير علمی عنھا .
- ایه ده انت لیک فی النبایات .
- ولا اعرف الالف من كوز الدرة ؟
- او مال .. !
- صور الورده الی انت مالیه بیهم اجنداتك – التوكه . وصورة كنتی وریتهالی مره ماسكه ورده من دول حاضناھا .
-

وخلال عامین تحاورنا تحدثنا اتفقنا كثیرا واختلنا ایضا . راتنی اساعد زمیلة فرایت الغضب فی عینیھا ... خاصمتنی یومین . ضحكت دینا حین جانت مره فسلمت علیھن جمیعا وكنت الی جوارھم فتجاهلنتی .

- مخاصمك صح .. ! طنشك هههههه خدت بالی .

ضحكت كمد - یخریبت سنینك یادینا انتی فقر !

لم یختلف رد فعلھا عن تصرفی حین لم یعجبنی تعليق زمیل على رأى قائله ولا ضحكها ردا على تعليقه .

- مزه .

مرت الايام رتیبة متكررة بلا لون ولاطعم .

یاجماعة صلوا على النبی ... ایوه یانیفی (اعتادت دینا ان تنادیھا هكذا) واتتی كمان صلی ع النبی برضة .

فی لحظة صفاء استطاعت دینا بروحھا الحلوه وخفة دمھا ان تصالحنا على بعض .

- یاجماعة انتوا مالکوش غیر بعض داحنا بینا عیش وملح وفول وفلافل ثم وهی تغمز لنیفین "ورود ابيض واحمر

وفی غمره ضحك یتراق على نغازتین " وعشان الولاد ما یشردوش یاجماعة ... " .

جمعتنا الاماكن الكثیره الی تنقلنا فیھا كطلبه وجمعتنا اوقات ونحن نشرب او ناكل كنا دوما هذا الشلة الكبیرة الی اتفقت

افكارھا وتقاربت فیما بینها . اجتمع منا اربعة كنا الاقرب الی بعض من الصبیان لنداكر سویا فی بیت صدیقنا عرفة

واجتمع اربعة بنات هم صدیقاتھا القریبین منها فی بیتها . كانت بعض المواد تحتاج الی جهد فامكننا تقسیم الجهد بینا

وتسهیل المهمة . كان حقا امرا رائعا حتی ان عدد اخر من الزملاء الاخرین فعل مثلنا .. كانت علاقتی بنیفین امر طبیعی

لیس فیھ مثار للقل والقال حتی فانا مسلم وهی مسیحیة مختلفان نعم , هناك حدود وفواصل نعم ایضا لكن ماكان یجمعنا

كان اكثر كثيرا مما يفرقنا .. لقد كنا هذا القرب وهذا التفاهم والادراك كانت هذا الضوء وهذه الطاقة الخفية التي جعلت
لصباحات الايام وامسياتها طعما جميلا رائعا .. ولم يكن احد وهو يرانا نتحدث بتلقائية يظن ان شيئا ما ممكن ان يحدث
بينى وبينها . لكن حدث . ذهبت الى بيتهم لأول مرة فى شىء هام ارادت ان يصلها بشكل لم يكن من الممكن تاجيلة ..
قابلنى والدها بترحاب وموده كبيره - نيفين كلمتنى عنك كثير !
انا ..! ورحنا فى حديث ودود عن احوال الدنيا فحكى لى الرجل عن سفرياته الكثير .. وعمله من ناس من جنسيات عديدة
اكسبتة معرفة بلغات كثيرة وطبعا استعرض الرجل بعض مهاراته فى التحدث بالانجليزية والفرنسية والتركية بل
والروسية . كان رجلا استثنائيا ابن سوق عركته الدنيا وجابها شرقا وغربا . استغرقتنا الوقت والحوار . كانت نيفين
تجلس بجوارنا تكتفى بالابتسامه بين الحين والآخر .
كانت شقة كبيرة تزين جدران الصالون لوحة كبيرة تمثل مشهدا لفارس يقتل وحشا فى اطار مذهب فاخر . صالون مذهب
كلاسيكى مازال يحتفظ برونقة وجماله وسجادة قديمة بهنت الوانها ... لم يبد ان شيئا تغير فى هذا الصالون من زمن بعيد
حتى النجفة ظلت بضع لمبات فيها فقط تعمل وكان احدا لم يهتم بتجديد لمباتها وان ليس ثمة ضيوف كثير اعتادوا على
الحضور .
ارتتى الام البوما كبيرا لصور نيفين فى حين التصقت بها ابنتها الاخرى الصغيرة "نانى" الصغيره وهى تقلب الصور . لم
يكن فى الصور الان نيفين وامها .. صورة واحدة للاب فى نهاية الالبوم .

واختلفنا مرة اخرى ... رحت اتذكر هذه المره سبب الخلاف فخانتنى الذاكره فقط عصبيتها حينها وكلمة او كلمتين
قالتهما قبل ان تذهب من امامى غاضبة لتشير الى تاكسى وتصك الباب .
تشاجرنا والتقينا وتصالحنا وبكت على كنفى لأول مرة وكانت اول قبلة فقط حين اقتربت وجوهنا الى هذا الحد وحين آلمنا
هذا البعد , وتعذبنا به , كنا كاننا نعوض البعد بالقرب اكثر . سرى صمت جليل بعدها وراحت تجفف دموعها وهى
تتحاشى النظر الى وجهى فى هذا اليوم ...
وفى التليفون قلنتها لها صراحة انا احبك : لم ترد لكننى اعرف يقينا اننى سمعت نهنه بكاء على الخط الآخر .
_ كانت اغنية لام كلثوم فى التاكسى الذى تسللنا فيه ذات يوم لنذهب سويا الى حدائق المنتزة يوم صحو من شتاء فبراير
تغنت ام كلثوم " اهرب من قلبى اروح على فين .. ليالينا الحلوه فى كل مكان .. مليناها حب احنا الاثنين وملينا الدنيا
امل ... " تلاقت نظراتنا وارتسمت على وجهها ابتسامه مشرقة ..
نعم الى اين نهرب وكل مكان فى الاسكندرية جمعنا ... الاماكن جمعتنا ... شهدت علينا ... اصبحت جزءا من كياننا
وذكرياتنا حتى المتاحف والمعارض والندوات التى جمعتنا ولم تكن قبلها ولا بعدها تعنى شيئا بالنسبة لنا . كانت حينها
فرحنا ومصدر سعادتنا . حضرنا ندوة عن " مفهوم التاثر والتاثير فى الادب المقارن " - تاثير المجتمع على الادب
والمراه " _ " ايدولوجية... ماعرفشى ايه فى واقعية ال ... " شىء لا اذكره ولا احسب اننا تذكرنا الاسم بعد خروجنا
من منتصف الندوه
لم نكن نعرف ولم نفكر فى شىء سوى اننا نحيا حياتنا لليوم طالما ان الغد لم يات بعد .

حين التوت قدمى واضطرت ان اضعها فى الجبس شهرا قالوا لى حين جاءوا لزيارتى تريد نيفين ان تزورك غدا
ولامفر . لقد حددت شخصين منا ليصطحبها فى الزيارة !
قال ابو الوفا حينها _ اقطع دراعى ان البننت دى بتحبك ؟ ضحكت فى حين راح يكتب بالقلم على الجبس الابيض كلمات
wish you speedy recovery وانا امازحة واقول له اوعى تغلط فى الاسبيلنج ... حافظك .. وانا اشير الى
الجبس .

جائت مع اختها الصغيرة " نانى " - لا اذكر غير هذا الاسم الذى من المؤكد انه اسم الدلع .. - فتاه كملانكة القصص
كانت تضىف بهجة وسعادة اينما حلت .. جائت اختى الكبرى استقبلتها استقبالا احتفاليا , وتجادبا حديثا ضاحكا حتى
جاءها تليفون فقامت . وقد رمقتنى بنظرة ذات معنى . جاءت فى هذا الثوب الازرق الذى احببته حين جائت به للكلية منذ
اسبوعين

همست لها ونحن فى معمعة المحاضرة

جميل اوى الفستان .

هى واختها كان فارق السن بينهما غريب !! نيفين فى الجامعة وهى على اقل تقدير فى الثامنة عشر او التاسع عشر
من عمرها بينما اختها خمس سنوات على الارجح !! لكن حين عرفت ان الرجل كان يجوب بلاد العالم غاب فى احداها
5 سنوات كامله لم اتعجب كانت الخمس سنوات هذه هى سره الدفين الذى ساقتنى الاقدار بالصدفة النادرة الحدوث
لاعرف تفاصيلها ...

لقد كان الرجل سجيناً في احد سجون تركيا !! حكى لى ذلك اخ لجار وصديق طفول لى ذات مرة وهو يحكى ان اخطار السفر حين كنا نتحدث امامه على احلامنا بالسفر . انه يعرف اناسا امضوا حياتهم سفرا حتى اغراهم المكسب السريع فحكى لى قصة لم اكن فى حاجة الى جهد كبير لآخمن ان الرجل هو ابوها خاصة بعد ان ذكر اسمه .. ومكان اقامته القديم فى سبورتنج ! لم يكن صعبا على ان اتخيل شكل الرجل قبل ذلك بسنوات فى قميص المزرکش والياقه العريضة وسوالفه الطويله التى تماثل الموضة فى تلك الايام ...
أليس داخل كل منا سر يحرص على ان يكتمه فلايعرفه احد – تلك ايام مضت لم اكن ابدا شخصا فضوليا لكنى كنت استطيع ان اعرف ان الرجل يعمل فى تسويق منتجات ما ..

كان هذا عرفه وهو يخبرنى قبيل محاضرة الاثنين

- حفلة عيد ميلاد !!!

- ميلاد ايه مين دى !

- نسرين .. اسمع متبقاش فقرى . هيا عازمة الشله كلها !

- انا مش فاضى ماننت عارف انى باشتغل .

- عارف .. ؟!

كنت فى السنة الثالثة وفى اجازة الصيف اشتغلت فى فندق شغلانه سعى لى فيها احد اصدقائى . قال انهم يحتاجون الى من يجيد الانجليزية .. فثمة مقيمين فى الفندق هذه الايام شىء ماله صلة بشركة انشاءات او اجتماعات لادرى المهم انها كانت مربحة حقا ! وجدت نفسى عند اخر الشهر , وفى يدى مبلغ محترم وكل يوم مصروف يد سخى من بقشيش زياين المطعم والبار !

فى بداية الدراسة كنت مازلت اعمل لم اكن اريد ان افقد هذا المورد الهام الذى وفر لى شيئا خاصا من المال استطعت ان اقضى به بعض الاحتياجات شديدة الخصوصية .

كانت نسرين قد اكملت العشرين عاما وهى ابنة الصواف سليل عائلة الصواف . عائلة جمعت بين السياسة والمال , نسرين ابنة سفيرمصر السابق فى سويسرا " عادل الصواف " الفتاه الارستقراطية التى كنا نحتمل تاففها وتعاليتها علينا فى السنة الاولى لكن حين وجدت نفسها فى اثنين فقط ممن اقتصرت صحبتهم عليها قررت ان تهبط من الهيمالايا . اتصلت بى مرة او مرتين وهى تسالنى عن شىء لايستحق السؤال لكنى عرفت انها تفتح بابا للحديث ومقدمة للصدقة . لقد امكننا ان نتعايش الجميع بشكل او باخر . ادركنا اننا لايجب ان نزيد الامر صعوبة ...

... عيد ميلاد طب وبعدين !!؟

طيب مين رايح ؟ انا مليش فى مواضع اعياد الميلاد دى .

- يافقرى على الاقل نروح نتفرج على الفيلا !

- ياراجل .. !!!

- فى كفر عيده .

- اها... بس بص ياعرفه . ودى هدية ايه اللى تناسبها ونجيبها منين ؟!

- ياسيدى سيب الموضوع ده عليا انا فكرت نجيب هدية باسم القسم كله . المهم انت جاى ولا اية ؟

- مش عارف !

- طب لعملك بقة نيفين جابه !!!

- وانت ايش عرفك !

- البنات قالولى وهما كمان جايين ..

مر على عرفة بسيارة ابوه النصر شاهين والى جواره ابو الوفا بقامته الفارعة . كانت اثار النوم لاتزال فى عيني رغم انى وضعت راسى تحت الماء لازيل اثر اجهاد عمل حتى وقت متأخر من الليل .

فى الطريق مر عرفه بشخص يجلس امام محل لادرى ماذا يبيع ! ساله سؤال واحد فقط

- راحوا ! ؟

- ايوه واوما الرجل براسه مؤكدا .من ساعة ... اتفضلوا !

- شكرا ...

هما مين اللى راحوا ... سؤال لم استطع ان احبسه بداخلى وانا انظر الى عرفة وهو يصفق بكلتا يديه تاركا مقود السيارة !

- انتا يابنى ادم ... !!

- متخافيش ياحلوه ههههههه . ثم التفت بنصف وجهة الى وهى يقول . مش اللي فى بالك يابرنس وراح يصفق ثانية بعد ان وضع فى كاسيت السيارة شريطا لايهاب توفيق _ " هدى القمر هدى والشعر لون الذهب ...والقلب من فضة يام العيون العجب " وراح يتمايل بالسيارة فى الطريق شبة الخالى فى هذا الوقت .

راحوا ! - كان السؤال على الباند الغربى الذى لم يفوت عرفة فرصة استثمار ويزنس كهذه عرفت انه اتفق معها على احضار فرقة تعزف اغانى عربية وطبعا اكيد سمسر من وراء الموضوع ده مبلغ محترم .

حين وصلنا كانت الفرقة تعزف فعلا ...

المكان رائع وثمة فخامة وروعة لايمكن تجاهل تأثيرها علينا فقد بدانا نتهامس . عرفت ان عرفة قد اظهر مهاراته فى تنظيم مثل هذه الاحتفالات قبل ذلك لكنه اليوم ابهرنى - شوية الديكورات التى انتشرت فى انحاء الحديقة حقيقة رائعة .. سيبك من السمسه حلال عليه .

فى خلال ساعة كان المكان قد امتلأ تعرفنا بوالدتها التى اتت فسلمت علينا فى اطلالة ملكية تذكرك باميرات اسرة القيصر .

جلس الاب فى ركن بعيد مع نخبة من الرجال اصحاب الياقات المطبقة على رقاب مربربة وسجائر كاصابع الهوت دوج غمز لى عرفة _ الازايز ورا التراييزة اللى هما قاعدين عليها وضحك .

عند باب الفيلا جاء اخر الوفود .

- اللهم صل على كامل النور .واستدار رمزى بكامل هيئته ناحية مدخل الحديقة . بص بص .
مسا الخير ياجماعة .

- يارض احرسى ماعليكى .يابراميل الزبده السايحة... ياصفايح القشدة النايحة . على طريقة عبد الفتاح القصرى صاح بها نصر بن خليل البندارى حين اقبلت البنات فى موكب متلالىء .

بادرته ابرينى : صفايح وبراميل .. تصدق انت طلعت كوز ...

انفجرنا فى موجه عاليه من الضحك لفتت الينا انتباه كل الحاضرين الين بادروا بالابتسامه لروح الشباب التى اضفت مرحا وبهجة على المكان الارستقراطى المتصلب .

قالت نسرين فى منتصف الحفل وبدمعة فرح تتلالا بين عينيها مش عارفه اشكركم ازاي ياجماعة انا اول مره افرح كده .. ثم وهى تلتقط دمعة كادت تفسد الميك اب .. البارتى جميله ميرسى ليكوا كلكوا ميرسى ياعرفه

. تسلل عرفة من بيننا وراح ليتحدث حديثا هامسا مع رئيس الباند او الكابتن لادرى اعقبه نداء بعد قليل ... انتهى بعد ممانعة وتبريرات بان سعدت الى جوار الفريق لاغنى اغنية انجليزية بعد ضبط الصوت واشياء من هذا القبيل انسابت النغمات عزفت المقدمة مرتين قبل ان ابدأ اغنية البى جيز how deep is your love

كانت رائجة فى تلك الايام كاغنى لفيلم شهير وقتها .وكنت انندن بها فى الكلية مع اصدقائى هؤلاء .

حين كانت الكلمات "انت من تعرفين السبيل الى اعماق روحى ...تعرفين انك انت الضوء فى احلك ساعات حياتى .. "

كانت واقفة امامى على بعد خطوات تنظر الى وقد احتضنت بيديها هذا الشال الحريرى الذى احاط كتفيها البيض كاعده المرمر وهذه السلسلة الذهبية التى احاطت عنقها وتدلنى منها حرف N كان هديتى لها فى عيد ميلادها الماضى ... امسكتها برفق بين اصبعيها

اتصلت بى امها ذات يوم .

- عايزاك فى موضوع

- قلت خير . قالت مينفعش فى التليفون .

- احى البيت !؟

- قالت برضه البيت مينفعش .

كان يمكنى ببساطة ان اخمن ...ولكن

الواقع بكل مرارته ..
تقدم لها شاب يحمل كل مؤهلات وامكانيات متقدم للزواج هم ابن احد اباطرة الذهب فى الاسكندرية له تجارة ايضا فى الخارج
متعلم اتم بعض مراحل تعليمه فى الخارج ايضا .رفضته باصرار... ارادت الام ان تعرف سببا فلم تجد ... اشتعل البيت خلافا
طلبت الام مقابلتى .. البنت سر امها والام تعرف عن خفايا ابنتها مالا يعرف اى احد اخر ...
كان حديثا طويلا

دقت امى على صدرها حين فاتحتها برغبتى فى الارتباط ... بكت .
والله انا كنت حاسة من ساعة ماشفتها ! هل الولد سر امه لا اعرف لكن الامهات لديهم هذه الحاسة الفريدة لمعرفة مشاعر ابنائهم
.ظلت امى صامته اياما ... لا ترد على اسئلتى الملحة تكفى بان تدبر وجهها عنى وتلجأ الى مسيحتها .
ضحكت احدى الكبرى حين علمت وراحت تمازحنى .. لكن ابى اجلسنى الى جواره حين علم وقال اقلل الباب ...
اصبحت اقعده فى الفندق اكثر من البيت لم اعد احضر معظم المحاضرات ...
ذات مره رايتها خرجنا سويا جلسنا فى هذا المكان البعيد عند اطراف المدينة ... كنا نسير عكس كل مدارات الاشياء
كنت المح فى عيونها هذه الدموع الصامته .. هذه العيون باتت مهزومة هذه الرماح اصبحت منكسة ...
مرت الايام بطيئة زاحفة لالون لها ولاطعم

اتصل بى عرفه ذات يوم فلم يجدنى بالبيت قالوا له فى الفندق ...
اتصل بى فى الفندق .

لم يكن وقت عملى ولكنى كنت اتجنب البيت قدر الامكان ... ابغونى ان صديق لى اتصل وان من الضرورى جدا ان اتصل به

- رررر
- ايوه ايه يا عرفه ازيك عامل ايه ؟
- انت فين يا بنى الدنيا مقلوبه ...
- فيه ايه ؟
- نيفين انتحرت .
- ايه !!!!
- متخافش مامانتش هي دلوقتي فى المستشفى الملكى اللى جنبهم فى العناية المركزة .
-
- الو ... الو ...

انا اجازة انهارة يامصطفى شوفوا حد يمسك مكانى ...

لم تكذ الام ترانى فى بهو المستشفى حتى صاحت فى وجهى - ايه اللى جابك انت السبب وراحت تضرخ فى هستيريا ...
اطلع بره ... اطلع بره ..

تجمع امن المستشفى وعدد من الاطباء والمرضات على وقع هذا الصراخ الذى هتك الهدوء واخرجونى للخارج وانا اقول
كلمة واحده

طب اظمن عليها بس ... اظمن عليها بس اظمن عليها بس

جاننى طبيب شاب تذكرك وسامته بنجوم السينما فى معطفه الابيض والسماعة تتدلى من رقبتة لعله كان يتابع مريضا وقتها او
للكشف ... ربت على كتفى بود واشار الى الامن فانصرفوا وسار معى الى حديقة المستشفى الصغيرة الخالية . تحدث معى .
قال كلمات هادئة بصوت رخيم جلس بجوارى على احد المقاعد ... حكى لى حكاية صغيرة ... لا اعرف .. فلم اكن استمع اليه
, بل كنت استمع الى صوت الصمت الذى حل على كل شىء فى المكان , وضوء النهار الذى راح يتلاشى ليحل محله ظلام
يزحف برداء ثقيل يحبس الهواء ويكتم الانفاس ... واطلمت الدنيا كلها .

لم اتقدم لامتحان السنة الرابعة ...

لم تتقدم نيفين لامتحان السنة الرابعة ...

قبضوا على ابيها بتهمة الاتجار فى مخدرات .. هل كان يتاجر حقا .. وجدوها فى مكان يملكه .. الاوراق هى كل شىء ..
توفى ابنى ... ضاقت الدنيا فى عيني , ورقدت امى فى صراع مع مرض لعين .. احاطت بى التحديات كالكلاب النابحة التى

عترت بغريب فى حبيها
مر عام كانه الدهر ..

تطاولت على احزاني قاومتها ... خرجت الى العمل ثانية .

لبعض الناس الذين ربما يمرون على حياتنا مرور الطيف وبمرفون كالشهب دور كبير فى تغيير مسارات حياتنا وفى وقوفنا على ارجلنا مره اخرى . دور قد يفشل فيه اقرب الناس اليك . قد يوقظك من غفلتك عابر سبيل لن تراه بعد ذلك وقد يضبط مسارات حياتك وجه يمر بك كالطيف وحدث معى ...
عدت الى عملى , كنت اعمل ليلا واحضر محاضراتى نهارا واذكر فى الترام وفى الطريق وفى العمل وفى السرير ..
العمل ..ثم العمل.. فقط العمل يجعلك تنسى .. نجحت .. لكنى لم ار للنجاح طعما ولافرحة . كانت فرحه جامدة مبتورة الاطراف كنت اتفوق فقط لاني اعمل فوق طاقة احتمال الاخرين وكنت اتفوق فقط لاسعد الاخرين ...
لم اتزوج حتى بلغت منتصف الثلاثين ...

اخر ماعرفته عنها انها سافرت لم تكمل حتى دراستها تركت مصر هربت . ربما سافرت الى UK , State
كل الاماكن التى تذكرها هجرتها كما فعلت فقد تجنبت الاماكن .. خاصمتها

" اهرب من قلبى اروح على فين ... لامفر الا بالفرار ... تذكرنى بعنوان مسلسل شهير " الفرار من الحب "

لماذا نخوض غمار تحدى نعلم فى النهاية اننا قد نفشل فيه ؟ هذا سؤال لايمكنك ان توجهه لقلب . فهو يخضع لحسابات المنطق والمفروض والمتوقع شىء جاف كالجداول الرياضية كمعادلات اللوغاريتم حسابات رياضية ليس لديها مقياس للمشاعر ...
للاحاسيس . القلوب لاتعرف مثل هذه الحسابات .القلوب حين تحب , حين تعشق فليس هناك سبب ولامبرر ..

قلوبنا هى فقط خارج السيطرة فهى اقوى من المنطق والعقل وكل حسابات الحياه الاخرى . قد تكون الظروف اقوى وقد نكون نحن اقوى ..لايمكنك ان تعرف ذلك حتى تخوض التجربة فتدوق شهدها وعسلها وتتجرع مراراتها وسمها فتسعدك وتؤلمك ...
تكويك وتعلمك ..تعصرك فتخرج انسانك الضعيف وماردك القوى ..شيطانك وملاكك ... تصهرك فتخلق منك انسان الحياه لتحيا مابقى لك بقلب او بدون قلب !!

تخيل ده كان فيه قصة حب جامده بينهم . صاحبت زوجتى لكى تسمعنى حين رأتنى بعيد فى هذا الركن .

- هما مين ؟ فى دهشه !
- ل . و . ي . ف .
- اه . طبعا
- -هو ايه اللى : اه طبعا !؟

زكريا الشافعى : الاسكندرية ابريل 2020